الحافظ أبو زرعة الرازي (ت٢٦٤هـ): تشكّل العالم المحدّث بين البيئة والرحلة العلمية

د. أشرف بن عبد القادر المرادي*

الملخص:

يسعى هذا المقال إلى إعادة قراءة ترجمة الحافظ أبي زرعة الرازي (ت ٢٦٤هـ) في ضوء سياقها التاريخي والعلمي، من خلال مقاربة تتجاوز العرض التقليدي للترجمة إلى تحليل شروط تشكّل العالم المحدّث. وينطلق البحث من فرضية مفادها أنّ بناء الشخصية الحديثية لم يكن نتاج الملكة الفردية فحسب، بل حصيلة تفاعل مركّب بين البنية العلمية للعصر، والرحلة في طلب العلم، وأنماط التداول المعرفي داخل مراكز العلم.

ولهذا الغرض يعتمد المقال منهجا تاريخيا تحليليا، يقوم على تفكيك معطيات الترجمة، وربطها بسياقاتها الجغرافية والسياسية والعلمية، مع التركيز على دور مدينة الري بوصفها فضاء حديثيا فاعلا، وعلى الرحلة العلمية باعتبارها آلية مركزية في تحصيل المعرفة الحديثية وإعادة إنتاجها، كما يشتغل البحث على إبراز شبكات الشيوخ والتلاميذ، بوصفها بنى ناقلة للمعرفة ومؤسسة للسلطة العلمية.

ويخلص المقال إلى أنّ الحافظ أبا زرعة الرازي يمثّل نموذجا دالا على تشكّل الإمامة الحديثية في القرن الثالث الهجري، حيث تداخلت في بنائه العلمي عناصر

* دكتوراه في الحديث النبوي وعلومه. أستاذ التربية الإسلامية بالسلك الثانوي التأهيلي، المملكة المغربية.

البيئة المحلية, والرحلة الواسعة, والتفاعل مع مدارس حديثية متعددة, بما أسهم في ترسيخ موقعه ضمن طبقة كبار الحفاظ, وفي تعزيز مكانة مدرسة الري في الخريطة العلمية الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: أبو زرعة الرازي, علم الحديث, الرحلة في طلب العلم, مدرسة الري, التشكّل العلمي.

المقدمة

عرف القرن الثالث الهجري تحولات عميقة في بنية المعرفة الإسلامية, لاسيما في مجال علم الحديث, حيث تبلورت ملامح "العالم المحدّث" بوصفه فاعلا مركزيا في إنتاج المعرفة الشرعية وضبطها. ولم يعد هذا التشكّل قائما على الحفظ والرواية فحسب, بل أصبح نتيجة مسار مركّب تتداخل فيه شروط البيئة العلمية, وآليات التلقي, وأنماط الرحلة في طلب العلم, إضافة إلى شبكات التواصل بين العلماء داخل مختلف الأمصار.

في هذا السياق تبرز شخصية الحافظ أبي زرعة الرازي (ت ٢٦٤هـ) بوصفها نموذجا كاشفا عن سيرورة التشكّل العلمي في هذا العصر؛ إذ لا يمكن فهم مكانته الحديثية الرفيعة بمعزل عن الإطار الجغرافي والسياسي والعلمي الذي نشأ فيه, ولا عن مسارات رحلته العلمية التي مكّنته من التفاعل مع مراكز العلم الكبرى, ولا عن علاقاته العلمية التي أسهمت في بناء رصيده المعرفي وترسيخ سلطته العلمية.

وعلى الرغم من وفرة المادة العلمية للترجمة لأبي زرعة في كتب السير

والطبقات والجرح والتعديل, فإن أغلب هذه المعالجات ظلت حبيسة العرض الوصفي, دون مساءلة الشروط المعرفية التي أنتجت هذه الشخصية العلمية, أو تحليل آليات تشكّلها في ضوء سياقها التاريخي. من هنا, تنبع الحاجة إلى مقاربة تتجاوز السرد إلى التحليل, وتستثمر المادة العلمية في الكشف عن البنى العميقة التي حكمت تشكّل العالم المحدّث في القرن الثالث الهجري.

إشكالية البحث:

ينطلق هذا المقال من التساؤل المركزي الآتي: كيف أسهمت كلٌّ من البيئة العلمية المحلية والرحلة العلمية في تشكيل شخصية أبي زرعة الرازي بوصفه عالما محدّثا في القرن الثالث الهجري؟

ويتفرع عن هذا السؤال عدد من التساؤلات الفرعية:

- ما طبيعة البنية العلمية التي احتضنت نشأة الحافظ أبي زرعة في مدينة الري؟
- كيف أثّرت الرحلة العلمية في طلب الحديث في توسيع أفقه المعرفي وصقل أدواته النقدية؟
- ما دور الشيوخ والتلاميذ في بناء مكانته العلمية وترسيخ إمامته الحديثية؟
- إلى أي حد يمكن اعتبار تجربة الحافظ أبي زرعة نموذجا دالا على آليات تشكّل العالم المحدّث في عصره؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

- تحليل ترجمة أبي زرعة الرازي في ضوء سياقها التاريخي والعلمي.

- الكشف عن دور البيئة العلمية والرحلة في تشكيل العالم المحدّث.
- إبراز إسهام مدرسة الري في إنتاج المعرفة الحديثية.
- تقديم نموذج تحليلي يمكن تعميمه على تراجم علماء الحديث.

الدراسات السابقة:

حظيت شخصية الحافظ أبي زرعة الرازي (ت ٢٦٤هـ) باهتمام عدد من الدراسات الحديثة التي تناولت جهوده في علم الحديث أو البيئة العلمية التي نشأ فيها, غير أن أغلب هذه الدراسات اتجهت إلى الوصف والتوثيق أكثر من التحليل التاريخي والبنيوي لشروط تشكّل العالم المحدّث في القرن الثالث الهجري.

ومن أبرز هذه الدراسات؛ دراسة الدكتور سعدي بن مهدي الهاشمي بعنوان: أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية, التي ركزت على إبراز مكانته في علم الجرح والتعديل وجهوده في خدمة الحديث النبوي من خلال جمع الروايات وتحليل أقواله النقدية, مع اهتمام أقل بالسياق التاريخي والاجتماعي المكوّن لشخصيته العلمية.

كما تناولت دراسة الدكتور ثامر عبد المهدي حتاملة بعنوان: مدرسة الحديث في مدينة الري, البيئة العلمية للري بوصفها حاضنة لعدد من أعلام الحديث, وفي مقدمتهم أبو زرعة وأبو حاتم الرازي, حيث ركزت على الخصائص العلمية للمدينة ودورها في ازدهار الرواية الحديثية, دون التوسع في تحليل أثر هذه البيئة في تكوين المسار العلمي الفردي لأبي زرعة.

وإلى جانب ذلك نجد إشارات متفرقة في كتب التراجم والرجال, مثل: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم, وسير أعلام النبلاء للذهبي, غير أنها تقدم مادة معرفية

واسعة تفتقر إلى البناء التحليلي المنهجي، إذ يغلب عليها الطابع الإخباري والتوثيقي.

وعليه يتبين أن هذه الدراسات، رغم أهميتها في توثيق المادة العلمية، لم تتناول بشكل مباشر إشكالية تشكّل العالم المحدّث في القرن الثالث الهجري من خلال نموذج أبي زرعة الرازي، وهو ما تسعى هذه الدراسة إلى معالجته عبر مقاربة تحليلية تربط بين البيئة العلمية ومسار التلقي وممارسة النقد الحديثي.

أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث في كونه يقدم صورة متكاملة عن تكوين عالم من علماء الحديث، من خلال الربط بين العوامل المؤثرة في شخصيته العلمية.

منهج البحث:

يعتمد البحث على منهج تاريخي تحليلي، يقوم على:

- استقراء المادة العلمية للترجمة من مصادرها الأصلية.
- تحليلها وربطها بسياقاتها المعرفية.
- توظيف مفاهيم مثل: التشكّل العلمي، الرحلة العلمية، السلاسل العلمية.

خطة البحث:

- المبحث الأول: البيئة العامة (وصف مدينة الري، الأوضاع السياسية، الأوضاع العلمية والفكرية).
- المبحث الثاني: أبو زرعة الرازي (اسمه، نسبه، كنيته، مولده، أسرته).
- المبحث الثالث: طلبه للعلم ورحلاته.
- المبحث الرابع: شيوخه وتلاميذه.

- المبحث الخامس: المكانة العلمية لأبي زرعة الرازي وثناءُ العلماء عليه.
- المبحث السادس: مصنفات أبي زرعة الرازي.
- المبحث السابع: وفاة أبي زرعة الرازي, وما روي في حسن خاتمته.

ومن هذا المنطلق أعرض ذروا من ترجمة الحافظ الكبير أبي زرعة الرازي[١] في المباحث التالية:

المبحث الأول: الحالة الجغرافية والسياسية والعلمية لعصر أبي زرعة الرازي.

إذا كان الإنسان ابن بيئته فإن عصره الذي يعيش فيه لا شك تاركٌ عليه أبلغَ الأثر؛ فللعوامل المحيطة به في مجتمعه وبيئته, وللتيارات التي تعترضه, وللأحداث التي تفاجئه, انعكاس على اتجاهاته ومواقفه وتصوراته؛ لذلك خصَّصْتُ هذا المطلب لتقديم دراسة لعصر أبي زرعة؛ لنقف على مدى تأثره به وتأثيره عليه.

ولبيان هذه الأهداف, ومحاولة البحث عن العوامل المؤثرة في الأوضاع العلمية في عصر أبي زرعة؛ ارتأيت تقسيم الحديث عن عصره - بإيجاز - إلى ثلاثة فروع؛ يدرس الأول منها وصف مدينة الري, ويدرس الثاني الأوضاع السياسية, ويدرس الثالث الأوضاع العلمية والثقافية.

١- من أهم مصادر ترجمته، وهي مرتبة حسب وفيات مؤلفيها: "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (١/٣٢٨-٣٤٩) (٥/٣٢٤ – رقم: ١٥٤٣)، "الثقات" لابن حبان (٨/٤٠٧)، "الإرشاد في معرفة علماء الحديث" للخليلي (٢/٦٧٨-٦٧٩)، "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي (١٢/٣٣-٤٧)، "تاريخ دمشق" لابن عساكر (٣٨/١١-٣٩)، "طبقات الحنابلة" لابن أبي يعلى (٢/٥٣-٦٣)، وغيرها من المصادر.

المطلب الأول: وصف مدينة الري.

ولد أبو زرعة، وعاش، وتوفي في مدينة الري؛ وهي من مدن إيران[٢]، وسميت الرّيّ «برويّ من بني بيلان بن أصبهان بن فلوج بن سام»[٣]، وسميت أيضا المحمدية؛ «لأن المهدي[٤] نزلها في خلافة المنصور لما توجه إلى خرسان وبناها»[٥]. وتقع في الطرف الشمالي الشرقي ضمن مدن إقليم الجبل[٦].

وقد فُتحت الري أيام الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، وكان الأمير حينئذ نعيم بن مُقَرِّن[٧] ﷺ، في سنة اثنتين وعشرين (٢٢هـ)[٨].

وقد خربت مدينة الري بمرور الزمن بفعل هجمات المغول، لتحل محلها مدينة طهران الحالية، والتي كانت قرية من قراها[٩].

وقد كانت المدينة تتميز بآثارها المعمارية، وأبنيتها القديمة، قال أبو القاسم ابن حوقل (ت ٣٦٧هـ): (الري مدينة ليس بعد بغداد في المشرق أعمر منها، إلا

٢- "المسالك والممالك" للبكري (٤٩٦/١).

٣- "البلدان" لابن الفقيه (ص: ٥٣٧)، و"أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" للمقدسي (ص: ٣٨٥)، و"معجم البلدان" لياقوت الحموي (١١٦/٣).

٤- هو الخليفة أبو عبد الله محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، ثالث خلفاء بني العباس (ت ١٦٩هـ)، كانت مدة خلافته عشر سنين وشهرا. تنظر ترجمته في: "سير أعلام النبلاء" للذهبي (٤٠٠/٧).

٥- "البلدان" لليعقوبي (ص: ٨٩).

٦- "بلدان الخلافة الشرقية" لكي لسترنج (ص: ٢٤٩). وينظر: "أحسن التقاسيم" للمقدسي (ص: ٣٨٤-٣٨٥)، و"معجم البلدان" للحموي (١١٦/٣)، و"آثار البلاد وأخبار العباد" للقزويني (ص: ٣٤٢).

٧- أخو النعمان بن مقرن، خلف أخاه النعمان حين قُتل بنهاوند، وكانت على يديه فتوح كثيرة، وهو وأخوهُ من جِلة الصحابة، وكانوا من وجوه مزينة، وكان عمر بن الخطاب ﷺ يعرف لنعيم والنعمان موضعهما. ينظر: "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البر (٥٥٧/٣)، و"الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر (٥٦٩/٣).

٨- "تاريخ الرسل والملوك" للطبري (١٤٦/٤).

٩- "بلدان الخلافة الشرقية" لكي لسترنج (ص: ٢٥١).

نيسابور أكبر منها عرصة, وأفسح رقعة, فأما اشتباك البناء ويسار الأهل والخصب والعمارة فهي أعمر [...] والغالب على بنائها الطين, وبها الجصّ والحجر في بعض أبنيتها)[١٠].

ونظرا للجمال الذي تحلت به الري فقد امتدحها العلماء, حتى قال فيها الأصمعي (ت ٢١٦ه): (الريّ عروس الدنيا, وإليها متجر الناس)[١١].

المطلب الثاني: الأوضاع السياسية في عصر أبي زرعة.

عاصر أبو زرعة تسعة من خلفاء بني العباس, وهم: المأمون عبد الله بن هارون بن محمد بن عبد الله (ت ٢١٨ه), والمعتصم بالله محمد بن هارون (ت ٢٢٧ه), والواثق بالله هارون بن محمد بن هارون (ت ٢٣٢ه), والمتوكل على الله جعفر بن محمد المعتصم (ت ٢٤٧ه), والمنتصر بالله محمد بن جعفر المتوكل (ت ٢٤٨ه), والمستعين بالله أحمد بن محمد المعتصم (ت ٢٥٢ه), والمعتز بالله محمد بن جعفر المتوكل (ت ٢٥٥ه), والمهتدي بالله محمد بن هارون الواثق (ت ٢٥٦ه), والمعتمد على الله أحمد بن جعفر المتوكل (ت ٢٧٩ه), فيكون بذلك قد أدرك طرفا من العصر العباسي الأول, وطرفا من العصر العباسي الثاني[١٢].

١٠- "المسالك والممالك" للإصطخري (ص: ١٢٠)، و"صورة الأرض" لابن حوقل (ص: ٣١٦).

١١- "البلدان" لابن الفقيه (ص: ٥٤٠).

١٢- يُقَسم الدارسون الحكم العباسي إلى أربعة عصور: العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢ ه)، العصر العباسي الثاني (٢٣٢-٣٣٤ ه)، العصر العباسي الثالث (٣٣٤-٤٤٧ ه)، العصر العباسي الرابع (٤٤٧-٦٥٦ ه). "تاريخ الدولة العباسية ١٣٢-٦٥٦هج" لمحمد طقوش، و"أطلس الدولة العباسية" لسامي المغلوث.

ويكاد يجمع المؤرخون على أن القرن الأول للخلافة العباسية كان عصرا ذهبيا تجلت فيه هيبة الخلفاء، واستقر سلطانهم، ونفذت كلمتهم على الحكومة المركزية، وعلى ولاة الأقاليم شرقا وغربا[١٣].

أما مدينة الري التي ولد أبو زرعة وعاش فيها فقد كانت تابعة للدولة الطاهرية[١٤]؛ فقد وَلَّى الخليفة العباسي المأمون قائده العسكري طاهر بن الحسين الخزاعي[١٥] أميرا على ولايات المشرق: الري، وخراسان، وسجستان... سنة ٢٠٥هـج، مكافأة له على جهوده العسكرية في إلحاق الهزيمة بجيش الخليفة محمد الأمين العباسي (ت ١٩٨ه)[١٦].

واستمرت الإمارة في عقبه إلى آخر حكامهم محمد بن طاهر بن عبد الله، وقد تولى الخلافة بأمر من الخليفة المستعين بالله أحمد[١٧]، لكنه لم يكن على شاكلة أسلافه، فقد كان يميل إلى اللهو والعبث، فضعف أمره، وعجز عن إخضاع الثورات التي قامت، ولما ازدادت الاضطرابات في دولته استنجد أهل خراسان بالأمير يعقوب بن الليث الصفاري (ت ٢٦٥ه) لإعادة الأمن والاستقرار إلى بلادهم، فوجد الأمير الصفاري الفرصة مواتية لتوسيع رقعة دولته على حساب الدولة

١٣- "النزعات الاستقلالية في الخلافة العباسية" لعبد الفتاح السرنجاوي (ص: ٦).

١٤- "تاريخ الدول المستقلة في المشرق عن الخلافة العباسية"، عطية القوصي، سنة: ١٩٩٢-١٩٩٣م، مكتبة دار النهضة العربية – القاهرة، (ص: ٤٣-٤٦)، و"تاريخ الدولة العباسية ١٣٢-٦٥٦هج"، محمد سهيل طقوش، ط: السابعة، سنة: ٢٠٠٩م، دار النفائس – بيروت، (ص: ١٨٦-١٨٧)، و"موسوعة تاريخ إيران السياسي"، حسن كريم الجاف، ط: الأولى، سنة: ٢٠٠٨م، الدار العربية للموسوعات – بيروت، (١/٢١١-٢١٦).

١٥- تنظر ترجمته في: "سير أعلام النبلاء" للذهبي (١٠/١٠٨).

١٦- "تاريخ الرسل والملوك" للطبري (٨/٥٨١)، و"الكامل في التاريخ" لابن الأثير (٦/٣٦٠-٣٦١).

١٧- "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (٧/١١٨).

الطاهرية المتداعية, فزحف بجيشه إلى نيسابور وقبض على محمد بن طاهر وأهل بيته سنة ٢٥٩هج[١٨].

المطلب الثالث: الأوضاع العلمية والفكرية في عصر أبي زرعة الرازي.

عاش أبو زرعة في أزهى العصور في تاريخ العلوم منقولها ومعقولها؛ فقد حفل معظم خلفاء بني العباس بالعلم, وأولوه عنايتهم, وقربوا العلماء, وأعلوا منازلهم؛ فنشطت الحركة الفكرية, وراجت الثقافة, واستوت العلوم, وأينعت, ونضجت, وكثرت التصانيف في مختلف العلوم, وكانت للعلماء هيبتهم ومكانتهم عند الخاصة والعامة[١٩].

وتبع الخلفاءَ في الاهتمام بالعلم وإعلاء منزلة أهله كثيرٌ من الولاة في هذا العصر, وقد حاز أمراء الدولة الطاهرية قصب السبق في ذلك, وشهدت دولتهم نهضة علمية كبيرة؛ فقد استقطبوا العلماء والأدباء من الآفاق, وأكرموهم, وأجروا عليهم الجرايات الوافرة, وقربوهم, وكانوا يُجالسونهم ويستفيدون منهم ويُفيدونهم؛ فقد ضم بلاط طاهر بن الحسين عددا لا بأس به من العلماء والأدباء, وكان مجلسه عامرا بطلاب العلم الذين أغدق عليهم المكافآت[٢٠]؛ فقد أكرم الحافظَ أبا جعفر أحمد بن سعيد الدارمي (ت ٢٥٣ه) بأربعة آلاف درهم[٢١],

---

١٨- "تاريخ الرسل والملوك" للطبري (٥٠٧/٩)، و"الكامل في التاريخ" لابن الأثير (٢٦١/٧)، و"تاريخ الدول المستقلة في المشرق عن الخلافة العباسية" لعطية القوصي (ص: ٤٦).

١٩- "الحياة العلمية في العصر العباسي"، دلال الفيتوري، مجلة كلية الآداب – جامعة بنغازي، العدد: ٤٣، سنة: ٢٠١٨م.

٢٠- "عوامل ازدهار الحركة العلمية والفكرية في خرسان وبلاد ما وراء النهر خلال عصر العباسي ٢٤٧-٤٤٧هج"، أحمد عبد العزيز محمود وبناز إسماعيل عدو، آداب الرافدين، جامعة الموصل، كلية الآداب، العدد: ٧٧، سنة: ٢٠١٩م، (ص: ٢٥٣).

٢١- "تهذيب الكمال" للمزي (٤١/١).

وكافأ الشاعر مقدس بن صَيْفِي الخلوقي حين مدحه بثلاثة آلاف دينار[٢٢]، بل كان هو نفسه «عالما، خطيبا، مفوها، بليغا، شاعرا»[٢٣]، روى عن: عبد الله بن المبارك، وعلي بن مصعب بن رُزَيْقٍ الخُزَاعِي، وذكر له ابن النديم ديوان شعر في خمسين ورقة[٢٤].

وكذا كان خلفُه عبد الله بن طاهر، يشجع العلماء، والأدباء، والشعراء، ويستقدمهم إلى بلاطه؛ فلما ولاه الخليفة المأمون سأله في استصحاب طائفة من علماء بغداد وأدبائها معه[٢٥]، ومنهم:

الحافظ أبو عبيد القاسم بن سلام[٢٦] (ت ٥٢٢٤)، الذي كان إذا ألف كتابا أهداه إلى عبد الله ابن طاهر، فيكافئه على ذلك بالأموال الكثيرة، وكان أبو عبيد يقول: (أنا في جَنَبَةِ رجل ما يحوجني إلى صِلَةِ غيره)[٢٧]. والشاعرُ كلثوم بن عمرو العتابي[٢٨] (ت ٥٢٢٠)، فقد نال عند عبد الله بن طاهر حظوة، وكانت بينهما علاقة وطيدة[٢٩]. والمفسر الحسين بن كيسان[٣٠] (ت ٥٢٨٢)، «أنزله عبد الله بن طاهر في

٢٢- "وفيات الأعيان" لابن خلكان (٥١٩/٢).

٢٣- "سير أعلام النبلاء" للذهبي (١٠٩/١٠).

٢٤- "الفهرست" لابن النديم (٥٠٨/١).

٢٥- "لسان الميزان" لابن حجر (٢٠١/٣)، و"طبقات النحويين واللغويين" لأبي بكر الزبيدي (ص: ١٠٤).

٢٦- أبو عبيد القاسم بن سلاَّم، البغدادي، الإمام المشهور، ذو الفنون، **ثقة فاضل**، مصنف، من العاشرة، من مصنفاته: "الناسخ والمنسوخ"، و"الأموال"، و"فضائل القرآن"، وغيرها، قال فيه ابن حبان: (أحد أئمة الدنيا، صاحب حديث وفقه ودين وورع ومعرفة بالأدب وأيام الناس، ممن جمع وصنف واختار، وذب عن الحديث ونصره، وقمع من خالفه وحاد عنه)، (ت ٢٢٤هـ). تنظر ترجمته في: "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (١١١/٧)، و"سير أعلام النبلاء" للذهبي (٤٩٠/١٠)، و"تهذيب التهذيب" (٤١٠/٣) لابن حجر.

٢٧- "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي (٣٩٥/١٤).

٢٨- كان شاعرا خطيبا بليغا مجيدا، وهو من أهل قنسرين، وقدم بغداد ومدح هارون الرشيد وغيره من الخلفاء، وله رسائل حسنة. تنظر ترجمته في: "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب" لياقوت الحموي (٢٤٣/٥)، و"وفيات الأعيان" لابن خلكان (١٢٢/٤).

٢٩- "تاريخ الأدب العربي"، عمر فرّوخ، ط: الرابعة، سنة: ١٩٨١م، دار العلم للملايين – بيروت، (٢١٨/٢).

٣٠- العلامة المفسر أبو علي الحسين بن الفضل البجلي الكوفي، قال فيه الحاكم: (كان إمام عصره في معاني القرآن). تنظر ترجمته في: "سير

الدار التي ابتاعها له سنة سبع عشرة ومائتين (٢١٧ه)، فبقي فيها يعلم الناس العلم إلى أن مات، خمسا وستين سنة»[٣١].

أما مدينة الري بصفة خاصة فقد كانت قبلة للعلماء يشدون إليها الرحال طلبا لشتى العلوم، نظرا لموقعها الجغرافي المتميز، وقد وُلد وعاش فيها كبار العلماء، كأبي زرعة الرازي، ويحيى بن الضريس، وعيسى بن مهران الجمال، وجرير بن عبد الحميد، وأبي حاتم الرازي، وغيرهم[٣٢]، ولقد توفي بها الكسائي النحوي، ومحمد بن الحسن الشيباني الفقيه – صاحب أبي حنيفة – في يوم واحد، سنة تسع وثمانين ومائة (١٨٩ه)، فقال في ذلك هارون الرشيد: (دفنَّا اللغة والفقه في الري في يوم واحد)[٣٣].

وفي الحديث النبوي عدها السخاوي ضمن المدن التي اهتم أهلها برواية الحديث وتدوينه[٣٤]، بل أصبحت مدرسة للحديث النبوي بالمعنى الدقيق[٣٥]، وذلك من آثار الصحابة الذين دخلوها أكثر من مرة[٣٦]، فاتسعت فيها بهم دائرة رواية

أعلام النبلاء" للذهبي (٤١٤/١٣)، و"لسان الميزان" لابن حجر (٢٠١/٣).

٣١- "لسان الميزان"، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ه)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط: الأولى، سنة: ٢٠٠٢م، مكتب المطبوعات الإسلامية – سوريا، (٢٠١/٣).

٣٢- تنظر بعض أسماء من كان بالري من الفقهاء والمحدثين في "الطبقات الكبير" لابن سعد (٣٨٠/٧).

٣٣- "طبقات النحويين واللغويين"، أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي (ت ٣٧٩ه)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الثانية، دار المعارف – القاهرة، (ص: ١٣٠).

٣٤- "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التوريخ"، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢ه)، تحقيق: سالم بن غتر الظفيري، ط: الأولى، سنة: ٢٠١٧م، دار الصميعي للنشر والتوزيع – الرياض، (ص: ٤٦٥).

٣٥- نعني بالمدارس الحديثية: جماعة من الرواة والمحدّثين، بينهم خصائص مشتركة، تتعلق بوسائل تبليغ الحديث، وصيانته رواية ودراية. ينظر: "المدارس الحديثية: الدلالة، والمضمون"، محمد زهير، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد: ٢٤، سنة: ٢٠٠٨م، (ص: ٦٤٥).

٣٦- منهم: المغيرة بن شعبة، والبراء بن عازب، وسعد بن أبي وقاص، وأبو موسى الأشعري، وقرظة بن كعب الأنصاري، وغيرهم من الصحابة. ينظر: "مدرسة الحديث في مدينة الري"، ثامر عبد المهدي حتاملة، ط: الأولى، سنة: ٢٠١٦م، دار الكتاب الثقافي – الأردن، (ص: ٥٧-٥٨).

الحديث، حتى قال سلمة بن بشير النيسابوري (ت ٥٢١١): (حَدَّثْتُ بالري أربعين ألف حديث، فهل يتهيأ لأحد أن يُعقّب عليَّ شيئا؟!)[٣٧]، وحتى تمنى أحمد بن حنبل أن لو رحل إليها لطلب العلم[٣٨].

والذي زاد من مكانة الري في الحديث النبوي اشتهارها ببعض البيوتات «العلمية التي كان العلماء المبرزون فيها يوَرِّثون أبناءهم علومَهم، ومصنفاتهم، ومروياتهم، وهم بدورهم يحافظون عليها، ويروونها لطلاب العلم من أبناء الري والقادمين إليهم من الأقاليم الأخرى»[٣٩].

ومن هذه البيوتات[٤٠]:

- بيت يحيى بن مغيرة السعدي[٤١]، وعنه أخذ الحديث ولده مغيرة بن يحيى[٤٢].

- بيت عيسى بن عبد الله بن ماهان التميمي[٤٣] (توفي في حدود ٥١٦٠)، وعنه أخذ هذا الشأن ولده عبدالله بن عيسى[٤٤]، وعنه ولده محمد بن عبد الله[٤٥].

٣٧- "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (١٥٧/٤).

٣٨- قال أحمد: (لو كان عندي خمسون درهما كنت قد خرجت إلى الري إلى جرير بن عبد الحميد، فخرج بعض أصحابنا، ولم يمكني الخروج؛ لأنه لم يكن عندي شيء). "آداب الشافعي ومناقبه"، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ)، ط: الأولى، سنة: ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية – بيروت، (ص: ٦٠).

٣٩- "أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية" لسعدي الهاشمي (٣٩/١).

٤٠- ينظر: "أبو حاتم الرازي وجهوده في خدمة السنة النبوية" لمحمد خروبات (٢١٤/١-٢١٩)، و"مدرسة الحديث في مدينة الري" لثامر عبد المهدي حتاملة (ص: ٤٩-٥٤).

٤١- يحيى بن المغيرة السعدي الرازي، روى عن: حكام بن سلم، وجرير بن عبد الحميد، روى عنه: أبو زرعة، وأبو حاتم، وسئل عنه؛ فقال: (صدوق). تنظر ترجمته في: "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (١٩١/٩)، و"الثقات" لابن حبان (٢٦٧/٩).

٤٢- مغيرة بن يحيى بن المغيرة السعدي الرازي، روى عن: أبيه، وعبد الصمد بن حسان، وعيسى بن جعفر قاضي الري، ومحمد ابن سفيان الكوفي، قال فيه ابن أبي حاتم: (سمعت منه، ومحله الصدق). تنظر ترجمته في: "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٢٣٢/٨).

٤٣- أبو جعفر الرازي التميمي، مشهور بكنيته، واسمه عيسى بن عبد الله بن ماهان، وكان يتجر إلى الري، **صدوق سيئ الحفظ**، خصوصا عن مغيرة بن مقسم، من كبار السابعة. "تقريب التهذيب" (ص: ٥٨٢) لابن حجر. وللتوسع في ترجمته ينظر: "الكامل في الضعفاء" لابن عدي

- بيت جرير بن عبد الحميد بن جرير الضبي[٤٦] (ت ٥١٨٨)، وهو من أوائل الذين صنفوا في علم الحديث[٤٧]، وعنه أخذ العلم ولده عون[٤٨].

- بيت فرات بن خالد الضبي[٤٩] (ت قبل ٥٢٠٠)، وعنه أخذ الحديث ولده أحمد[٥٠] (ت ٥٢٥٨).

- بيت يحيى بن الضريس بن يسار البجلي[٥١] (ت ٥٢٠٣)، فقد حاز علمه حفيده محمد بن أيوب ابن يحيى بن الضريس[٥٢] (ت ٥٢٩٤).

- بيت أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي[٥٣] (ت ٥٢٧٧)، وفي هذا البيت نشأ ولده عبد الرحمن بن أبي حاتم[٥٤] (ت ٥٣٢٧).

(٣٠٣/٨)، و"تهذيب التهذيب" لابن حجر (٥٠٣/٤).

٤٤- عبد الله بن أبي جعفر الرازي، **صدوق يخطئ**، من التاسعة. تنظر ترجمته في: "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (١٢٧/٥)، و"تهذيب التهذيب" (٣١٦/٢)، و"تقريب التهذيب" (ص: ٢٤٩) لابن حجر.

٤٥- محمد بن عبد الله بن أبي جعفر الرازي، **صدوق**، من العاشرة. تنظر ترجمته في: "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٣٠٢/٧)، و"تهذيب التهذيب" (٦٠٣/٣)، و"تقريب التهذيب" (ص: ٤٤٢) لابن حجر.

٤٦- جرير بن عبد الحميد بن قُرْط، الضبي، الكوفي، نزيل الري وقاضيها، **ثقة صحيح الكتاب**، قيل: كان في آخر عمره يهم من حفظه. تنظر ترجمته في: "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٥٠٥/٢)، و"تهذيب التهذيب" (٢٩٧/١)، و"تقريب التهذيب" (ص: ٩٢) لابن حجر.

٤٧- "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التوريخ" للسخاوي (ص: ٤٦٠).

٤٨- عون بن جرير بن عبد الحميد، روى عن أبيه، سمع منه أبو حاتم، وسئل عنه؛ فقال: (صدوق). تنظر ترجمته في: "الجرح والتعديل" (٨٨٨/٦)، و"الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة" لابن قطلوبغا (٤١٤/٧).

٤٩- فرات بن خالد الضبي، أبو إسحاق الرازي، **ثقة**، من التاسعة. تنظر ترجمته في: "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٨٠/٧)، و"تهذيب التهذيب" (٣٨٢/٣)، و"تقريب التهذيب" (ص: ٤٠٠) لابن حجر.

٥٠- أحمد بن الفرات بن خالد الضبي، أبو مسعود الرازي، **ثقة حافظ**، من الحادية عشرة. تنظر ترجمته في: "الثقات" لابن حبان (٣٦/٨)، و"تهذيب التهذيب" (٣٩/١)، و"تقريب التهذيب" (ص: ٣٨) لابن حجر.

٥١- يحيى بن الضُرَيس، البجلي، الرازي، القاضي، **صدوق**، من التاسعة. تنظر ترجمته في: "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (١٥٨/٩)، و"تهذيب التهذيب" (٣٦٥/٤)، و"تقريب التهذيب" (ص: ٥٤٧) لابن حجر.

٥٢- محمد بن أيوب بن يحيى بن ضريس الرازي أبو عبد الله، قل فيه ابن أبي حاتم: (كان ثقة صدوقا). تنظر ترجمته في: "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (١٩٨/٧)، و"سير أعلام النبلاء" للذهبي (٤٤٩/١٣).

٥٣- محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي، أبو حاتم الرازي، كان **أحد الأئمة الحفاظ الأثبات** المشهورين بالعلم المذكورين بالفضل، من الحادية عشرة. تنظر ترجمته في: "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٢٠٤/٧)، و"تهذيب التهذيب" (٥٠٠/٣)، و"تقريب التهذيب" (ص: ٤٢١) لابن حجر.

وما من شك أنّ وجود مثل هذه البيوتات العلمية وغيرها كان له تأثير كبير في المجتمع الإسلامي؛ فلقد كان العلماء هم قادة الجماهير ونخبتهم، فهم وحدهم الذين يملكون حق الإفتاء، والحكم في القضايا الحساسة دون أن ينازعهم منازع.

كما أن مدرسة الري تميزت بسمات وخصائص في علم الحديث وروايته، يمكن إجمالها في[٥٥]:

أ- قوة أسانيد أهلها وقلة التدليس فيهم.

ب- الاهتمام بنقد الحديث ورجاله والبراعة في ذلك.

ج- كثرة التصنيف والتقعيد لعلم الجرح والتعديل ولعلم العلل.

ومنه نخلص إلى أن مدرسة الري كان لها الأثر الكبير في علم الحديث، بل إن «غالب علم الحديث اليوم قائم على أصولهم وما ذهبوا إليه، ومصنفاتهم جابت الدنيا، وحوت من علوم الحديث أنفسها، واشتغلوا في نقدِ الحديث ورواتِه وعلمِ العلل الذي يعد من أغمض علوم الحديث، وأصبحت مدينة الري مدرسة قائمة بحد ذاتها، لها آراؤها، وعلماؤها، ومصنفاتها، وتشد إليها الرحال»[٥٦].

٥٤- عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي، كان ثقة، جليل القدر، عظيم الذكر، إماما من أئمة خراسان. تنظر ترجمته في: "سير أعلام النبلاء" للذهبي (٢٦٣/١٣)، و"لسان الميزان" لابن حجر (١٣٠/٥).

٥٥- ينظر: "أبو حاتم الرازي وجهوده في خدمة السنة النبوية" لمحمد خروبات (٢١٢/١-٢١٤)، و"مدرسة الحديث في مدينة الري" لثامر عبد المهدي حتاملة (ص: ١٨٨).

٥٦- "مدرسة الحديث في مدينة الري" لثامر عبد المهدي حتاملة (ص: ١٨٩).

فتنة خلق القرآن:

هذا، وجدير بالإشارة أنّ أبا زرعة عاصر واحدة من أشهر الفتن في تاريخ التراث الإسلامي، ألا وهي فتنة القول بخلق القرآن، التي تولى كبرها المأمون سنة ٢١٨هـج، وامتحنَ كثيرا من العلماء في ذلك[٥٧]، ولم ينج منها عُظمهم، فكانت الدولة بكافة أجهزتها تدعم هذه المحنة في عهد ثلاثة خلفاء عباسيين متتاليين، وهم: المأمون، فالمعتصم، ثم الواثق، ومعهم المتكلمون، والوزراء، والأمراء، والقضاة، والولاة، والقادة العسكريون.

حتى ولي الخلافة المتوكل سنة ٢٣٢هـج بعد وفاة الواثق، فكان على مذهب أهل السنة، فأمر برفع تلك البدعة، وإظهار السنة، وكتب بذلك إلى الآفاق واستقدم المحدثين إلى "سامرا"، وأجزل عطاياهم وأكرمهم، وأمرهم بأن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤيا. وجلس أبو بكر بن شيبة (ت ٥٢٣٥) في جامع الرصافة، فاجتمع إليه نحو من ثلاثين ألف نفس، وجلس أخوه عثمان (ت ٥٢٣٩) في جامع المنصور، فاجتمع إليه أيضا نحو من ثلاثين ألف نفس[٥٨].

وقد كان أبو زرعة على مذهب أهل الحديث في ذلك، وقد قرر عقيدته في القرآن فيما نقله عنه ابن أبي حاتم فقال: (أدركنا العلماء في جميع الأمصار؛ حجازا، وعراقا، وشاما، ويمنا؛ فكان من مذهبهم: الإيمانُ: قول، وعمل، يزيد، وينقص. والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته...)[٥٩].

٥٧- "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (٤٢٣/٦)، و"البداية والنهاية" لابن كثير (٢٠٧/١٤).

٥٨- "الحديث والمحدثون"، محمد أبو زهو، ط: الأولى، سنة: ١٩٥٨م، مطبعة مصر، (ص: ٣٢١-٣٢٢).

٥٩- رواه اللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (١٩٨/١). وقد شرح هذه العقيدة عبد العزيز الطريفي في كتابه: "الخراسانية في شرح عقيدة الرازيين"، ط: الأولى، سنة: ١٤٣٧هج، دار المنهاج – الرياض.

المبحث الثاني: أبو زرعة الرازي: اسمه, ونسبه, وكنيته, ومولده, وأسرته.

لم يختلف العلماء الذين ترجموا لأبي زرعة في اسمه, ولا في اسم أبيه, ولا في اسم جده, بل ولا في أسماء أجداده الأعلين, إلا أنَّ بعضهم يقتصر على ذكر اسم جده الأدنى, مع ذكر كنيته ولقبه, في حين يضيف الآخرون إلى ذلك اسم جده الثاني أو الثالث.

وبجانب ذلك يَذْكُرُ بعضهم نسبته إلى القوم الذين ينتمي إليهم, أو البلد الذي وُلد فيه أو رحل إليه طالبا للعلم أو أقام فيه وسكنه.

ومن هنا أقول هو: الإمام الكبير, سيد الحفاظ, عبيدُ الله بنُ عبدِ الكريم بنِ يزيدَ بنِ فَرُّوخَ بنِ داود, القرشي, المخزومي[٦٠], الرازي[٦١], مولى عياش بنِ مطرف بنِ عبد الله بنِ أبي ربيعة, كُنِّي بأبي زرعة, تيمنا بأبي زرعة الدمشقي (ت ٢٨١هـ)[٦٢].

كان عظيم القدر, جليل المحل, كثير العلم, حبرا لا يُساجَل في الحديث وعلله, اشتهرت كنيته وبعد صيته, وحمل عنه العلم كابرا عن كابر.

* أما مولده فقد اختلف في تاريخه على أربعة أقوال:

٦٠- المَخْزُومِي نسبة إلى مَخْزُوم بن يَقَظة بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب، بطن كبير من قريش، وعامتهم بالحجاز. "عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب" للحازمي (ص: ١١٢).

٦١- الرَّازِي، هذه النسبة إلى الري، وألحقوا الزاي في النسبة تخفيفا؛ لأن النسبة على الياء مما يشكل ويثقل على اللسان، والألف لفتحة الراء، على أن الأنساب مما لا مجال للقياس فيها، والمعتبر فيها النقل المجرد. "الأنساب" لأبي المظفر السمعاني (٣٣/٦).

٦٢- قال أبو زرعة الدمشقي: (وبكنيتي كُنّي أبا زرعة الرازي؛ وذلك أن جماعة من أهل الري قدموا علينا دمشق قديما، منهم: أبو يحيى فرخويه، فلما انصرفوا إلى الري، فيما أخبرني غير واحد، منهم: أبو حاتم، رأوا هذا الفتى قد كَاس، يعنون أبا زرعة الرازي، فقالوا له: نُكَنيك بكنية أبي زرعة الدمشقي، ثم لقيني أبو زرعة الرازي، فجالسني بدمشق، وكان يذكر لي هذا الحديث، وقال لي: تكنيت بكنيتك). "تاريخ دمشق" لابن عساكر (١٦/٣٨).

وأبو زرعة الدمشقي هو: عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النَّصْرِي، أبو زرعة الدمشقي، **ثقة حافظ**، مُصَنِّف، من الحادية عشرة، (ت ٢٨١هـ). تنظر ترجمته في: "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٢٦٧/٥)، و"تهذيب التهذيب" (٥٣٦/٢)، و"تقريب التهذيب" (ص: ٣٠٠) لابن حجر.

- الأول: أنه ولد سنة تسعين ومائة (١٩٠هـ)[٦٣].
- الثاني: أنه ولد سنة أربع وتسعين ومائة (١٩٤هـ)[٦٤].
- الثالث: أنه ولد سنة مائتين (٢٠٠هـ)[٦٥].
- الرابع: أنه ولد بعد نيف ومائتين[٦٦].

وأظهرها القول الثالث، أي: في مفتتح ثالث القرون الخيرة الأول؛ لأن أبا زرعة حكاه عن نفسه[٦٧]، وقد مال إلى ترجيحه الذهبي؛ فقال: (والظاهر أنه ولد سنة مائتين)[٦٨]، ومما يؤيده أن أبا حاتم الرازي كان أعلى إسنادا من أبي زرعة[٦٩]، وما ذاك إلا لتقدمه عليه في السن؛ فقد ولد سنة خمس وتسعين ومائة (١٩٥هـ)[٧٠]، والله أعلم.

* أما أسرته: فكانت إحدى أسر مدينة الري المشتهرة بالدين والعلم، ولا سيما علم الحديث؛ فقد خلف جده يزيد بن فروخ الرازي من الأولاد: ثلاثة ذكور، وأنثى واحدة؛ فأما الأنثى فتزوجها إدريس ابن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي،

٦٣- ذكر ذلك الذهبي في "تاريخ الإسلام" (٣٦١/٦)، وخليل بن أيبك الصفدي في "الوافي بالوفيات" (٢٥٦/١٩).

٦٤- روى ذلك الحاكم عن أحمد بن محمد بن سليمان الرازي في كتابه "الجامع لذكر أئمة الأمصار المزكين لرواة الأخبار"، كما في "سير أعلام النبلاء" للذهبي (٧٧/١٣-٧٨).

٦٥- "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي (٣٦/١٢).

٦٦- ذكره الذهبي في "سير أعلام النبلاء" (٦٥/١٣).

٦٧- روى الخطيب البغدادي في "تاريخ بغداد" (٣٦/١٢)، حدثنا أبو طالب يحيى بن علي بن الطيب الدسكري لفظا بحلوان، قال: أخبرنا أبو بكر بن المقرئ بأصبهان، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر القزويني: سمعت محمد بن عوف قال: (قال لي أبو زرعة: ولدتُ سنة مائتين). وبذلك قطعت جَهيزَةُ قول كل خطيب.

٦٨- "سير أعلام النبلاء" للذهبي (٧٧/١٣).

٦٩- كذا قال عبد الرحمن بن خراش (ت ٢٨٣هـ)، كما في "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي (٤٣/١٢)، ومن ذلك أن أبا حاتم من الطبقة الحَادِيَةِ عشرة، وقد روى عن مشايخ أمثال: أبي غسان محمد بن يحيى الكناني (ت ٢٠١هـ)، ومحمد بن موسى بن مسكين (ت ٢٠٧هـ).

٧٠- لم يقع اختلاف بين كتب التراجم في سنة ولادة أبي حاتم، ينظر: "تذكرة الحفاظ" (٥٦٧/٢)، و"سير أعلام النبلاء" (٢٤٧/١٣) للذهبي، و"طبقات الشافعية الكبرى" للسبكي (٢٠٧/٢)، و"الوافي بالوفيات" للصفدي (١٨٣/٢).

فأنجبت له: أبا حاتم محمد بن إدريس، وإبراهيم بن إدريس[٧١]، وهما ابنا عمة أبي زرعة[٧٢].

وأما الذكور فهم:

أ- إسماعيل بن يزيد، كنيته أبو أحمد (ت ٥٢٦٠)، طلب الحديث، فروى عن السِّندي بن عبدويه، وإسحاق بن سليمان، وعبدالصمد العطار، روى عنه أبو حاتم، وسئل عنه؛ فقال: (صدوق)[٧٣].

ب- محمد بن يزيد، روى عن إسحاق بن إسماعيل حبويه، والسِّندي بن عبدويه، وإسحاق بن سليمان، روى عنه أبو حاتم ووثقه، ووصفه بالعبادة والحفظ، وسئل عنه؛ فقال: (صدوق)[٧٤].

ج- عبد الكريم بن يزيد والد أبي زرعة، روى عنه أبو حاتم، وسئل عنه؛ فقال: (شيخ)[٧٥]. وقد كانت له معرفة بالرواة، واستفاد منه ابنه أبو زرعة في ذلك، قال ابن أبي حاتم في ترجمة أبي الحصين العلاء بن الحصين، قاضي الري: (سمعت أبا زرعة يقول: سمعت أبي يقول: كان العلاء بن الحصين قاضيا بالري نزل الأردان[٧٦]، وكان يقضي في حصن الأردان[٤])[٧٧].

٧١- قال ابن أبي حاتم: (إبراهيم بن إدريس، عمي، روى عن: سعيد بن سليمان، ومحمد بن كثير العبدي، وموسى ابن إسماعيل، كتبت عنه، وكان صدوقا). تنظر ترجمته في: "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٨٨/٢)، و"تاريخ أصبهان" لأبي نعيم الأصبهاني (٢٢٩/١).

٧٢- قال علي بن إبراهيم الخطيب الرازي: (**كان أبو زرعة أبوه خال أبي حاتم**، وكانا كالأخوين، ليس بينهما عداوة، ولا شحناء، ولا بغضاء كما يكون بين الناس، وكان أبو حاتم أسن من أبي زرعة على ما بلغني بخمس سنين [...] وكان مسكنهما ومسجدهما في محلة واحدة في سكة حنظلة)، "تاريخ دمشق" لابن عساكر (١٠/٥٢).

٧٣- تنظر ترجمته في: "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٢٠٥/٢).

٧٤- تنظر ترجمته في: "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (١٣٠/٨).

٧٥- تنظر ترجمته في: "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٦١/٦)، و"الثقات" لابن قطلوبغا (٤٢٠/٦).

٧٦- كذا وقع في الأصل في هذا الموضع، وقد أثبتها المعلمي في غير هذا الموضع من "الجرح والتعديل" (١٢٥/١ و٤٠٠/٤): الأزدان. وأثبتها بشار عواد

وقد كان عبد الكريم من المهتمين بالعلم، فكان يربي أبناءه على نهج المحدثين، فيأخذهم إلى حلق العلم ليعتادوا عليها[٧٨].

وخلف عبد الكريم بن يزيد ثلاثة أولاد، وهم: عبيد الله، ومحمد، وأبو بكر.

- فأما عبيد الله فهو مترجمنا.

- وأما محمد بن عبد الكريم، فهو من طلبة الحديث ورواته، روى عنه أبو حاتم، وسئل عنه؛ فقال: (صدوق)[٧٩].

ولمحمد هذا ابن اسمه عبد الله، ويكنى بأبي القاسم، روى عن عمه أبي زرعة، ويونس بن عبد الأعلى، وأحمد بن منصور الرمادي، وغيرهم، وكان صاحب أصول، وثقه أبو نعيم الأصبَهَانِي، والذهبي، (ت ٥٣٢٠)[٨٠].

- وأما أبو بكر بن عبد الكريم الرازي، فذكره أخوه أبو زرعة بطلب الحديث، فقال في ترجمة عمرو بن حكام الأزدي: (قدم الري، وكتب عنه أخي أبو بكر. وليس بالقوي)[٨١].

وهكذا نجد أمثلة بارزة على عناية آل أبي زرعة بالحديث النبوي الشريف، أورث أبا زرعة الإقبال عليه، وبوأه فيهم مكانة عالية في خدمة السنة النبوية. كما أنه أفاد من بيت إدريس بن المنذر الحنظلي زوج عمته، إذ لزم أبا حاتم ابن عمته زمانا،

في ترجمة العلاء من "تاريخ الإسلام" للذهبي (١١٧٨/٤): أزادان. ولم أجد من عَرَّف هذا الموضع، ويقع في القلب أن يكون صوابها: آزاذان قرية من قرى أصبهان ينسب إليها فيقال: الآزاذاني. ينظر: "الأنساب" للسمعاني (١٠٠/١)، و "معجم البلدان" لياقوت الحموي (٥٢/١).

٧٧- تنظر ترجمته في: "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٣٥٤/٦).

٧٨- ومن أمثلة ذلك ما ذكره أبو زرعة عن نفسه حينما بدأ يدخل مجالس أهل العلم فيقول: (ذهب بي أبي إلى عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد الدشتكي...). "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٣٣٩/١).

٧٩- "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (١٧/٨).

٨٠- تنظر ترجمته في: "سير أعلام النبلاء" للذهبي (٣٧١/٧).

٨١- "الجرح والتعديل" (٢٢٨/٦)، و"العلل" (٣٠٢/١-٣٠٣-رقم: ٩٠٦)، لابن أبي حاتم.

وصحبه في رحلته في طلب الحديث، وروى عنه وعن بعض من أقرانه[٨٢]. فلا يكاد يذكر اسم أبي زرعة في مجلس من مجالس العلم إلا اقترن بذكر أبي حاتم، ولا اسم أبي حاتم إلا ذكر أبو زرعة، وهذا مثبت فيما نقل عنهما في بيان أحوال الرواة، وضبط أسمائهم، وكناهم، وأنسابهم، وفي تمييز الحديث وبيان علله. فإننا لا نكاد نجد قولا لأبي زرعة في الحكم على حديث أو بيان حال رجاله إلا اقترن بقول أبي حاتم فيهما، سواء بالموافقة له أو الاختلاف معه، وقد توطدت العلاقة بينهما بسبب الصحبة في طلب العلم وتبليغه، ثم لآصرة النسب بينهما، فاشتهر اسمهما واقترن ذكرهما في بلاد خراسان كلها، وتبوآ منزلة الإمامة في علوم السنة كلها[٨٣].

المبحث الثالث: طلب أبي زرعة الرازي للعلم، ورحلاته.

ابتدأ أبو زرعة طلب العلم وهو حَدَث[٨٤]، فأخذ العلم عن مشايخ بلده أولا؛ فذهب به والده أولا – على جرْيِ العادة – لحفظ القرآن الكريم[٨٥] على عبد الرحمن بن عبد الله الدَّشْتَكِي[٨٦] الرازي[٨٧]، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده، ولأنه أصل التعليم الذي يُبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات[٨٨]، وكتب

٨٢- "أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية" لسعدي الهاشمي (٥٤/١).

٨٣- "أبو حاتم الرازي وجهوده في خدمة السنة النبوية" لمحمد خروبات (٥٦/٣-٥٧).

٨٤- "سير أعلام النبلاء" الذهبي (٦٦/١٣).

٨٥- "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٣٣٩/١).

٨٦- نسبة إلى دشتك: قرية أو موضع بالري. "الأنساب" للسمعاني (٣٥٠/٥).

٨٧- عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد بن عثمان الدَشْتَكي، أبو محمد الرازي، المقرئ، من العاشرة، وثقه ابن معين، وقال فيه أبو حاتم: (صدوق، وكان رجلا صالحا)، مات سنة بضع عشرة ومائتين. تنظر ترجمته في: "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٢٥٤/٥)، و"تهذيب التهذيب" لابن حجر (٥٢٢/٢).

٨٨- "المقدمة" لابن خلدون (ص: ٤٧٣).

بالري – قبل أن يخرج إلى العراق – عن نحو ثلاثين شيخا[٨٩]، وكان عالي الهمة، حريصا على الطلب، وحدث عن تلك المرحلة من حياته فقال: (كنا نُبَكِّرُ بالأسحار إلى مجلس الحديث نسمع من الشيوخ، فبينما أنا يوما من الأيام قد بكرت – وكنت حَدَثا – إذ لقيني في بعض طرق الري شيخ مخضوب بالحناء، فسلم عليّ فرددت السلام، فقال لي: يا أبا زرعة سيكون لك شأن وذِكْر)[٩٠].

وما إن اشتدَّ عوده، وقوي على تحمّل أعباء الحياة، واستنفد أو كاد ما في عيبة شيوخه البلديين، وأحسَّ أن الرحلة سُنَّةٌ من يطلب الحديث، ويبحث عن علو الإسناد، وقِدم السماع، حتى شد الرحل مبكرا لقاء للحفاظ، ومذاكرة لهم، واستفادة عنهم، فارتحل إلى الحجاز، والشام، ومصر، والعراق، والجزيرة[٩١]، وخراسان[٩٢]، قال أحمد بن محمد بن سليمان الرازي: (ارتحل من الري وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وأقام بالكوفة عشرة أشهر، ثم رجع إلى الري، ثم خرج في رحلته الثانية، وغاب عن وطنه أربع عشرة سنة، وجلس للتحديث وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة)[٩٣]، فكان له أن أدرك ما لم يدرك غيره مثله، فقد أدرك كثيرا من الأكابر.

٨٩- "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٣٣٥/١).

٩٠- "تاريخ دمشق" لابن عساكر (٣٣/٣٨).

٩١- المقصود الجزيرة الفراتية، وهي: إقليم يقع في شمال شرق سوريا، يضم السهول الممتدة ما بين نهر الفرات ونهر دجلة، وتسمى أيضا سهول الجزيرة، تجري فيها عدة أنهار تصب جميعها في الفرات. "الجمهورية العربية السورية" لمحمد عبد الحميد الحمادي، ضمن "الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي" (٩٣٢/٤).

٩٢- "المحدث الفاصل بين الراوي والواعي" للرامهرمزي (ص: ٢١٦)، و"سير أعلام النبلاء" الذهبي (٦٦/١٣).

٩٣- روى ذلك الحاكم في كتابه "الجامع لذكر أئمة الأمصار المزكين لرواة الأخبار"، نقله عنه الذهبي "سير أعلام النبلاء" (٧٧/١٣-٧٨).

ولم يقطع السماع – على عادة الحفاظ – من شيوخ بلده حتى بعد رحلته وتبريزه؛ فكان كلما عاد إلى الري من رحلاته يلازم أبرز شيوخه بها, ومنهم: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الرازي[٩٤]؛ فقد لزمه ثماني سنين, من آخر سنة أربع عشرة ومائتين (٢١٤ه), إلى سنة اثنتين وعشرين ومائتين (٢٢٢ه)[٩٥], قال ابن أبي حاتم: (قلت لأبي زرعة: تحزر ما كتبتَ عن إبراهيم بن موسى, مائة ألف حديث؟ قال: مائة ألف كثيرا! قلت: فخمسين ألفا؟ قال: نعم, وستين ألفا, وسبعين ألفا)[٩٦].

ويصف لنا أبو زرعة رحلاته فيقول: (خرجتُ من الري المرة الثانية سنة سبعٍ وعشرين ومائتين, ورجعتُ سنة اثنتين وثلاثين في أولها, بدأت فحججتُ, ثم خرجتُ إلى مصر, فأقمتُ بمصر خمسة عشر شهرا, وكنتُ عزمت في بدو قدومي مصر أني أقل المقام بها, فلما رأيتُ كثرة العلم بها, وكثرة الاستفادة, عزمت على المقام, ولم أكن عزمت على سماع كتب الشافعي, فلما عزمتُ على المُقام وُجِّهْتُ إلى أعْرفِ رجل بمصر بِكُتُبِ الشافعي, فقبلتها منه بثمانين درهما أن يكتبها كلها, وأعطيته الكَاغَد[٩٧], وكنت حملت معي ثوبين دَيبقيين[٩٨] لأقطعهما لنفسي, فلما عزمت على كتابتها أمرت ببيعهما فبيعا

٩٤- إبراهيم بن موسى بن يزيد التميمي، أبو إسحاق الفراء الرازي، يلقب بالصَّغْير، ثقة حافظ، من العاشرة، مات بعد العشرين ومائتين، "تقريب التهذيب" لابن حجر (ص: ٤٩). وللتوسع في ترجمته ينظر: "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (١٣٧/٢) و"تهذيب التهذيب" لابن حجر (٨٩/١).

٩٥- "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٣٣٥/١).

٩٦- نفسه (٣٣٥/١).

٩٧- الكاغد: القرطاس، فارسي معرب. "تاج العروس من جواهر القاموس" لمرتضى الزبيدي (١١٠/٩).

٩٨- من دق ثياب مصر، منسوب إلى قرية اسمها دَبِيقٌ، وهي بلد تقع بين الفرمَا وتِنّيس خرب الآن. "تاج العروس من جواهر القاموس" للزبيدي (٢٧٦/٢٥)، و"المعجم العربي لأسماء الملابس" لرجب عبد الجواد إبراهيم (ص: ١٦٧-١٦٨).

بستين درهما, واشتريت مائة ورقة كاغد بعشرة دراهم, كُتبت فيها كتب الشافعي, ثم خرجتُ إلى الشام, فأقمت بها ما أقمت, ثم خرجت إلى الجزيرة, وأقمت ما أقمت, ثم رجعت إلى بغداد سنة ثلاثين في آخرها, ورجعت إلى الكوفة, وأقمت بها ما أقمت, وقدمت البصرة, فكتبتُ بها عن شيبان[٩٩], وعبد الأعلى[١٠٠], قال ابن أبي حاتم: سمعت محمد بن عوف يقول: كان أبو زرعة عندنا بحمص سنة ثلاثين ومائتين, قال ابن أبي حاتم سمعت أبا زرعة يقول: أقمت في خرجتي الثالثة بالشام, والعراق, ومصر أربع سنين وستة أشهر, فما أعلم أني طبخت فيها قدرا بيد نفسي)[١٠١].

والذي يتحصل أن أبا زرعة كانت له ثلاث رحلات لا للأمصار ذاتها, بل لمن فيها من الشيوخ:

- فأما الرحلة الأولى فكانت إلى الكوفة سنة إحدى عشرة ومائتين (٢١١ه)[١٠٢], وسمع فيها من أبي نعيم الفضل بن دكين[١٠٣], ثم رجع أبو زرعة بعد ذلك إلى الري في آخر سنة أربع عشرة ومائتين (٢١٤ه).

وإنما كان اختياره لبدء رحلاته بالكوفة لما لها من تأثير واضح في أهل ولايات المشرق: الري, وخراسان, وسجستان... فأهل الكوفة هم الذين فتحوا هذه

٩٩- هو شيبان بن فرُّوخ الحَبَطِي، الأُبُلِّي، أبو محمد، من صغار التاسعة، وثقه أحمد، ومسلمة بن القاسم، وقال فيه أبو زرعة، والساجي: (صدوق)، (ت ٢٣٦ هـ). تنظر ترجمته في: "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٣٥٧/٤)، و"تهذيب التهذيب" لابن حجر (١٨٤/٢).

١٠٠- هو عبد الأعلى بن حماد بن نصر البَاهِلِي مولاهم، البصري، أبو يحيى، المعروف بالنَّرْسِي، من كبار العاشرة، وثقه ابن معين، وأبو حاتم، وابن قانع، ومسلمة بن القاسم، والدارقطني، والخليلي، (ت ٢٣٦ هـ). تنظر ترجمته في: "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٢٩/٦)، و"تهذيب التهذيب" لابن حجر (٤٦٤/٢).

١٠١- "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٣٤٠/١).

١٠٢- "تاريخ الإسلام" الذهبي (٣٦١/٦).

١٠٣- "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٣٣٩/١).

البلاد، وعلموا أهلها القرآن والحديث، فانتقلت مناهجهم وطرائقهم في التفكير والتحديث إليها، وقلما تجد إسنادا خراسانيا إلا وأصله كوفي[١٠٤].

ولا غرو أنّ استمرأ أبو زرعة الرحلة إليها؛ فقد كانت مركزا علميا، ومشعلا حضاريا في كافة فروع العلم، وخاصة رواية الحديث النبوي[١٠٥]، بسبب نزول جماعة من الصحابة φ بها[١٠٦]، مثل: علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر، وخلق من الصحابة[١٠٧]، ثم كان بها أئمة التابعين كعلقمة ابن قيس النخعي، ومسروق بن الأجدع، والأسود بن قيس، وعامر الشعبي، وإبراهيم النخعي، وأبي إسحاق السبيعي، وسليمان الأعمش، وأصحابهم[١٠٨].

ومما لا شك فيه أنه حصل في رحلته هذه علما كثيرا؛ فأهل الكوفة من المكثرين جدا في الرواية، كما أنّ ملازمته لشيخه أبي نعيم الفضل بن دكين (١٣٠-٥٢١٨)[١٠٩] مما:

أ- يعلو بها إسناده؛ فأبو نعيم من أعيان الطبقة التاسعة، وقد روى عن أمثال: الأسود بن قيس، وهو من الطبقة الرابعة، ويونس بن عبيد بن دينار، وبشير بن المهاجر وهما من الطبقة الخامسة.

١٠٤- "الوهم في روايات مختلفي الأمصار" لعبد الكريم الوريكات (ص: ٤٦١).

١٠٥- مظاهر تميز الكوفة كثيرة ومشهورة، والمقولات في ذلك متعددة، فصَّل فيها محمد زاهد الكوثري (ت ١٣٧١هـ) في كتابه "فقه أهل العراق وحديثهم"، الذي عنى به أهلَ الكوفة دون غيرهم، (ص: ٤٠-وما بعدها).

١٠٦- قال إبراهيم النخعي: (هبط الكوفةَ ثلاثمائة من أصحاب الشجرة، وسبعون من أهل بدر). "الطبقات الكبير" لابن سعد (١٣٢/٨).

١٠٧- ينظر أسامي من روى عن النبي ﷺ ممن سكن الكوفة في "كتاب التاريخ" للفلاس (ص: ٦١٧-٦٣٠)، فقد ذَكر منهم اثنا عشر ومائة.

١٠٨- ينظر أسامي مشاهير التابعين بالكوفة في "مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار" لابن حبان (ص: ١٥٩-١٧٩) فقد ذكر منهم سبع عشرة ومائة.

١٠٩- أبو نعيم هو: الفضل بن دكين الكوفي، واسم دكين عمرو بن حماد بن زهير التيمي، أبو نعيم المُلائي، مشهور بكنيته، ثقة ثبت، من التاسعة، وهو من كبار شيوخ البخاري، "تقريب التهذيب" لابن حجر (ص: ٤٠١). وللتوسع في ترجمته ينظر: "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٦١/٧)، و"تهذيب التهذيب" لابن حجر (٣٨٧/٣).

ب- وتنمو بها ملكته؛ فقد كان أبو نعيم عالما بالشيوخ وأنسابهم وبالرجال[١١٠]، وأحاديثُ أهل الكوفة مجال خصب لتطبيق ما أخذه عن شيخه من نقد حديثي، خصوصا إذا ما استحضرنا أن رواياتهم، كثيرة الدغل، قليلة السلامة من العلل[١١١]، لما اشتهروا به من التدليس[١١٢]، وكثرة الوضع[١١٣]، والرواية عن كل أحد[١١٤]، حتى كثرة المنكرات في مروياتهم، والواهيات في أخبارهم.

- وأما الرحلة الثانية: فامتدت من سنة سبع وعشرين ومائتين (٥٢٢٧)، إلى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين (٥٢٣٢)، مكث فيها خمس سنوات. وقد ابتدأ هذه الرحلة – على جري العادة – بالتوجه إلى مكة لأداء مناسك الحج، ولقاء الجلة في أكبر مؤتمر إسلامي؛ فقد «كان للحرم المكي الجَمالُ، بأفراد مُنْتَدَبِينَ للعلم والتصنيف، من أهله والواردين عليه، في سائر المذاهب، وغالب الفنون، بحيث كان حقيقا بالارتحال إليه لذلك، فضلا عن كونه محلا للنسك»[١١٥]، ثم رحل إلى مصر وفيها كان مفيدا ومستفيدا، فيصف لنا أبو حفص عمر بن مِقْلاص (ت ٥٢٨٥)[١١٦]

١١٠- وصفه بذلك أحمد بن حنبل، كما في "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي (٣١٤/١٤).

١١١- قال الزهري: (إن في حديث أهل الكوفة دغلا كثيرا) "المدخل إلى علم السنن" للبيهقي (رقم: ٧٥٦)، وقال عبد الرحمن بن مهدي: (حديث أهل الكوفة مدخول) "الكامل في ضعفاء الرجال" لابن عدي (رقم: ٨١٣).

١١٢- قال يزيد بن هارون الواسطي (ت ٢٠٦هـ): (قدمت الكوفة فما رأيت بها أحدا إلا وهو يدلس، إلا مسعر بن كدام، وشريكا) "الكفاية في علم الرواية" للخطيب البغدادي (٢٦٦/٢)، وقال الحاكم: (أكثر المحدثين تدليسا أهل الكوفة) "معرفة علوم الحديث" (ص: ٣٧٣).

١١٣- قال ابن تيمية: (أما أهل الكوفة فلم يكن الكذب في أهل بلد أكثر منه فيهم؛ ففي زمن التابعين كان بها خلق كثيرون منهم معروفون بالكذب، لا سيما الشيعة؛ فإنهم أكثر الطوائف كذبا باتفاق أهل العلم، ولأجل هذا يُذكر عن مالك وغيره من أهل المدينة أنهم لم يكونوا يحتجون بعامة أحاديث أهل العراق؛ لأنهم قد علموا أن فيهم كذابين، ولم يكونوا يميزون بين الصادق والكاذب) "مجموع الفتاوى" (٣١٦/٢٠)، حتى قال بعض الحفاظ: (تأملت ما وضعه أهل الكوفة في فضائل عليٍّ وأهل بيته فزاد على ثلاثمائة ألف) "الإرشاد" للخليلي (٤٢٠/١).

١١٤- قال محمد بن المثنى: (قال لي عبد الرحمن بن مهدي: يا أبا موسى أهل الكوفة يحدثون عن كل أحد) "التمييز" لمسلم (ص: ١٧٨).

١١٥- "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التوريخ" للسخاوي (ص: ٤٥٠).

١١٦- عمر بن عبد العزيز بن عمران بن مقلاص، الخزاعي المصري، ثقة فاضل، من الثانية عشرة، روى عن: سعيد ابن كثير بن عفير، ويحيى بن بكير، ويوسف بن عدي، وإبراهيم بن المنذر الحزامي، وغيرهم، وعنه: النسائي، وابن صاعد، والطحاوي، والطبراني، وغيرهم. تنظر ترجمته في:

مقامه فيها فيقول: (كان أبو زرعة هاهنا عندنا بمصر سنة تسع وعشرين ومائتين، إذا فرغ من سماع بكير وعمرو بن خالد والشيوخ، اجتمع إليه أصحاب الحديث فيملي عليهم وهو ابن سبع وعشرين سنة)، وفيها سمع جميع كتب الشافعي عن الربيع بن سليمان المرادي[١١٧]، ومن شدة حرصه على نسخها وتحصيلها أن بذل فيها ماله، وباع ثيابه، وما ذلك إلا لغلاء العلم لديه وعلى قلبه، ورجاحته كل الرجاحة على المال، و«من عرف ما يطلب، هان عليه ما يبذل»[١١٨].

ثم ورد الشام فدخل عدة مدن بها، أولها: دمشق، «وهي دار قرآن، وحديث، وفقه»[١١٩]، وثانيها: حمص، وثالثها: حلب، ومدن الجزية الفراتية[١٢٠].

ثم وافى العراق، فيمَّم وجهه صوب قبلة العلم والعلماء، دار الخلافة: بغداد، ومن أشهر من كان بها أحمد بن حنبل، فأقبل إليه أبو زرعة، ولازمه، وتفقه به، وتأثر به اقتداء، وسلوكا، وروى عنه الكثير من المسائل الغريبة، وكان يحفظ حديثه كله[١٢١]، ثم انحدر منها إلى البصرة، فلأهلها «من السنن الثابتة بالأسانيد الواضحة

"تهذيب التهذيب" لابن حجر (٣/٢٣٩).

١١٧- "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (١/٣٤٤-٣٤٥).

١١٨- رواه البيهقي في "الجامع لشعب الإيمان" (٣/١٨٤-رقم: ١٥٣٣) عن إبراهيم بن أدهم.

١١٩- "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التوريخ" للسخاوي (ص: ٤٥٣).

١٢٠- "أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية" لسعدي الهاشمي (ص: ٧٥-٧٧).

١٢١- "طبقات الحنابلة" لابن أبي يعلى (٢/٥٥).

ما ليس لغيرهم, مع إكثارهم وانتشار رواياتهم»[١٢٢], ثم حلَّ بالكوفة خاتما بها رحلته بسبب قربها من الري.

- وأما الرحلة الثالثة: فقضى فيها أربعة أعوام ونصف, عاد فيها كَرَّة أخرى إلى الشام, والعراق, ومصر, وما يصاقبها. وبلغ من شدة حرصه على العلم – في رحلته هذه – وانهماكه في تحصيله, تركه المُتَعَ المباحة, فكان لا يؤثر على العلم لذة, حتى إنه ما طبخ في رحلته قدرا[١٢٣].

وما من شك أن رحلاته العلمية هاته, إضافة إلى بيئته العلمية الحاضنة, وما تلقاه عن أشياخ بلاده, أكسبته علما كثيرا, وأسهمت في بناء شخصيته العلمية, وتنوع موارد التحمل التي أسعفته لما استشرف للنقد والرواية, سواء في حفظ الحديث وكتابته وروايته وتجديد سماعه, أو التثبت منه بمذاكرة العلماء في نقد أسانيده ومتونه ومقابلتها, أو معرفة الرواة وأحوالهم وطبقاتهم ومراتبهم, مما سيكون له كبير الأثر في منهجه وطريقته في نقده للأحاديث وإعلالها[١٢٤].

المبحث الرابع: شيوخ أبي زرعة, وتلاميذه.

المطلب الأول: شيوخه.

تتلمذ أبو زرعة على شيوخٍ كثيرين, في علوم شتى, قد أحصاهم سعدي بن مهدي الهاشمي موثقا لهم بمصادره, مرتبا لهم هجائيا, فبلغوا ثمانين

١٢٢- "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" للخطيب البغدادي (٢/٢٨٦).

١٢٣- قال ابن أبي حاتم سمعت أبا زرعة يقول: (أقمت في خرجتي الثالثة بالشام، والعراق، ومصر أربع سنين وستة أشهر، فما أعلم أني طبخت فيها قدرا بيد نفسي) "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (١/٣٤٠).

١٢٤- ينظر ما كتبه نور الدين عتر عن أهداف الرحلة وفوائدها عند المحدثين في مقدمة تحقيقه لكتاب: "الرحلة في طلب الحديث" للخطيب البغدادي (ص: ١٧-٢٣).

وخمسمائة (٥٨٠) شيخ[١٢٥]، من أشهرهم: عبد الله ابن صالح العجلي (ت ٥٢١١)، وأبو نعيم الفضل بن دكين (ت ٥٢١٨)، وعبد الله بن الزبير الحُمَيْدِي (ت ٥٢١٩)، وعيسى بن مينا المدني قالون المقرئ (ت ٥٢٢٠)، وعبد الله بن مسلمة القعنبيّ (ت ٥٢٢١)، وأبو إسحاق إبراهيم بن موسى الرازي، وموسى بن إسماعيل التَّبُوذَكِي (ت ٥٢٢٣)، وسليمان بن حرب الأزدي (ت ٥٢٢٤)، وأبو الوليد هشام بن عبد الملك الطيالسي (ت ٥٢٢٧)، وعبد الله بن محمد المُسْنَدِي (ت ٥٢٢٩)، ويحيى بن عبدالله بن بُكير (ت ٥٢٣١)، وعلي بن عبد الله المديني (ت ٥٢٣٤)، وقتيبة بن سعيد (ت ٥٢٤٠)، وأحمد بن حنبل (ت ٥٢٤١)، وعبدالله بن أحمد بن بشير بن ذكوان المقرئ (ت ٥٢٤٢)، ومحمد بن بشار بُندار (ت ٥٢٥٢)، ومحمد بن المثنى (ت ٥٢٥٢)، وغيرهم كثير.

وهكذا كثر شيوخ أبي زرعة وتنوعت ثقافتهم، فمنهم المحدث، والمقرئ، والمفسر، والأصولي، والفقيه، واللغوي، والمؤرخ... وتبعا لهذا فقد تنوعت ثقافته ومعارفه وكانت له مشاركة في فنون كثيرة، فهو موسوعي الثقافة، غزير المعرفة، وإن اشتهر بإمامته في الحديث وعلومه.

المطلب الثاني: تلاميذه.

كما سمع منه أئمة كثيرون، استقصى سعدي الهاشمي منهم ثمانية وستين (٦٨) مرتبين هجائيا، وموثقا ذلك بمصادره[١٢٦]، من أشهرهم: مسلم بن الحجاج (ت ٥٢٦١)[١٢٧]، وابن ماجه القزويني (ت ٥٢٧٣)[١٢٨]، وأبو عيسى الترمذي (ت

١٢٥- "أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية" لسعدي الهاشمي (١/٨٥-١٥٥).

١٢٦- نفسه (١/١٦٣-١٧٢).

١٢٧- روى مسلم في "المسند الصحيح" عن أبي زرعة حديثا واحدا، جزم بذلك ابن مَنْجُويه في "رجال صحيح مسلم" (٢/١٤)، والمزي في "تهذيب

٥٢٧٩)[١٢٩]، وعبد الله بن أحمد بن حنبل (ت ٥٢٩٠)، وصالح جزرة (ت ٥٢٩٣)، وأبو عبد الرحمن النسائي (ت ٥٣٠٣)[١٣٠]، وابن الجارود (ت ٥٣٠٧)[١٣١]، وأبو يعلى أحمد بن علي الموصلي (ت ٥٣٠٧)، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٥٣١١)[١٣٢]، وأبو عوانة الإسفراييني (ت ٥٣١٦)، وعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٥٣٢٧)[١٣٣]، وأبو القاسم الطبراني (ت ٥٣٦٠)[١٣٤]، وسعيد بن عمرو البرذعي (ت ٥٣٦٢)[١٣٥]، وغيرهم كثير.

وما من شك أنّ هذه الكثرة في التلاميذ والمنتفعين بأبي زرعة إنَّما هي نتيجة لما اشتهر به من العلم والورع، وعنايته بمن يدرس عليه، وحب الناس لمجلسه.

كما أود الإشارة إلى أن تلاميذ أبي زرعة ليسوا محصورين في من تلقوا عنه مشافهة، فما تزال الأجيال اللاحقة في كل عصر تستفيد بشكل غير مباشر من علم أبي زرعة وفضله وسلوكه، وتتلمذ على مدرسة أقواله وسيرته ومواقفه.

الكمال" (٥/٤٩-٥٠)، وأما ابن حجر في "تهذيب التهذيب" (٣/٢٠) فقال نقلا عن صاحب "الزهرة": حديثين. ولم أقف إلا على حديث واحد رواه عنه مسلم في "المسند الصحيح"، كتاب الرقائق (رقم الحديث: ٢٨٣٨).

١٢٨- روى ابن ماجه في "السنن" عن أبي زرعة أربعة أحاديث (رقم: ١٧٠٧-١٨١٤-٢٤٨٤-٢٨٨٠).

١٢٩- روى الترمذي في "الجامع الكبير" عن أبي زرعة أربعة أحاديث (رقم: ٥٤٩-٢٧٠٣-٣١٨٦-٤٠٥٤).

١٣٠- روى النسائي في "السنن الكبرى" عن أبي زرعة سبعة أحديث (رقم: ١٣٦٧-٢٧٩٧-٣٤٣٠-٣٥٨٧-٨١٥٤-١٠٦٥٦-١٠٦٦٨)، وروى عنه في "المجتبى من السنن" حديثين (رقم: ١٣٦٧-٢٣٠٠).

١٣١- روى ابن الجارود في "المنتقى من السنن المسندة عن رسول الله ﷺ" عن أبي زرعة ثلاثة أحاديث (رقم: ٦٣٣-٦٨٨-٨٤٠).

١٣٢- روى ابن خزيمة عن أبي زرعة حديثا واحدا في "مختصر المختصر" (رقم: ٣٦٩)، وروى ابن حبان في "الصحيح-الإحسان" حديثا واحدا عن شيخه ابن خزيمة، عن أبي زرعة الرازي (رقم: ٤٢٤٦).

١٣٣- كُتبه ملآى بالرواية عن أبي زرعة، ونقل أقواله في العلل وأحوال الرجال.

١٣٤- روى عنه الطبراني في "المعجم الكبير" حديثين (٤/٩٥-رقم: ٣٧٦٣ و ١١/١٣٢-رقم: ١١٢٦٩).

١٣٥- وهو الذي حفظ لنا رواية كاملة لكتاب "أسامي الضعفاء"، و"أجوبة أبي زرعة عن السؤالات".

المبحث الخامس: المكانة العلمية لأبي زرعة الرازي وثناءُ العلماء عليه.

كبر أبو زرعة وشب وصار «إماما من أئمة المسلمين في الحديث وعلله ورجاله»[١٣٦]، واشتهر بسعة الحفظ، والفهم، والإتقان، وجاوز حفظه الصحيح إلى السقيم ليميزه؛ فقد سئل عن محفوظاته فقال: (أنا أحفظ ستمائة ألف حديث صحيح، وأربعة عشر ألف إسناد في التفسير، والقراءات، وعشرة آلاف حديث مزورة، قيل له: ما بال المزورة تحفظ؟ قال: إذا مرّ بي منها حديث عرفته)[١٣٧].

وبلغ من حفظه وإتقانه أن قال: (إن في بيتي ما كتبته منذ خمسين سنة، ولم أطالعه منذ كتبته، وإني أعلم في أي كتاب هو، في أي ورقة هو، في أي صفحة هو، في أي سطر هو)[١٣٨].

ومن حرصه على العلم أن خصص في منزله بيتا للكتب (= مكتبة)، مُرتبا لها في قَمَاطِر[١٣٩]، وكان يكلف ابن أخيه أبا القاسم[١٤٠] أن يحضر له ما يحتاجه منها، فيحدد له رقم القمطر، ورقم الجزء منه[١٤١].

١٣٦- "المعلم بشيوخ البخاري ومسلم"، أبو بكر محمد بن إسماعيل بن خلفون (ت ٦٣٦هـ)، تحقيق: عادل بن سعد، ط: الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، (ص: ٣٩٣).

١٣٧- "شرح علل الترمذي" لابن رجب (٢٢٤/١).

١٣٨- "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي (٤١/١٢). وليس الكلام هنا عن حديث أو حديثين، أو كتاب أو كتابين، بل مئات الألوف من الأسانيد والمتون، فسبحان من وهبه هذه الحافظة القوية!!

١٣٩- القَماطِرُ مفردها قِمَطْر وقِمَطْرَة: ما يُصان فيه الكتب. "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية"، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط: الرابعة، سنة: ١٩٨٧م، دار العلم للملايين – بيروت، (٧٩٧/٢).

١٤٠- عبد الله بن محمد بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ بن داود، أبو القاسم الرازي، ابن أخي أبي زرعة (ت ٣٢٠هـ). تنظر ترجمته في: "سير أعلام النبلاء" للذهبي (٢٣٣/١٥).

١٤١- "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٣٣٧/٥).

وينبغي أن يكون اسمه قد تَكَرَّسَ في الصفوة من علماء عصره, حتى يستفيد منه شيوخه وأقرانه؛ فأحمد بن حنبل كان يستأثر بمجالسة تلميذه أبي زرعة, ويستفيد منه, وكان ما يصلي غير الفرائض حينما ينزل عنده أبو زرعة في زياراته لبغداد؛ حرصا على مذاكرته, بل سَأَلَه عن أحاديث فصححها له أبو زرعة[١٤٢].

ولأبي زرعة فضل على الأمة بخصوص صحيح مسلم؛ فقد عَرض مسلم صحيحه على أبي زرعة؛ فما من حديث ذكر له علة إلا تركه, وكل ما قال: إنه صحيح وليس له علة خرجه[١٤٣].

فأثنى عليه العلماء لذلك ثناء منقطع النظير, مما يدل على تمتعه بمكانة سامية في قلوب علماء عصره ومن جاء بعدهم, وتبوُّئه من المكانة المرموقة عندهم؛ فقد كثرت جوانب الثناء على هذه الشخصية الفذة التي جمعت بين الصلاح, والورع, والزهد, والديانة, والإمامة, حتى أثنى عليه أقرانه, فقال أبو حاتم (ت ٢٧٧ه): (أزهد من رأيتُ أربعة: آدم بن أبي إياس, وثابت بن محمد الزاهد, وأبو زرعة, وذكر آخر)[١٤٤].

ويتضح هذا جليّا من التقريظ والثناء الذي خصه به معاصروه, ومن بعدهم من العلماء والمؤرخين, ما تتضمخ به المعاطف, أورد منها ما يلي:

* قال أبو بكر بن أبي شيبة (ت ٢٣٥ه): (ما رأيت أحفظ من أبي زرعة الرازي)[١٤٥].

١٤٢- "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي (٣٤/١٢).

١٤٣- "صيانة صحيح مسلم"، أبو عمرو تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن، المعروف بابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق: موفق عبد الله عبد القادر، ط: الثانية، سنة: ١٤٠٨هج، دار الغرب الإسلامي – بيروت، (ص: ٦٧).

١٤٤- "أسامي من روى عنهم محمد بن إسماعيل البخاري من مشايخه في جامعه الصحيح"، أبو أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد بن مبارك بن القطان الجرجاني (ت ٣٦٥هـ)، تحقيق: عامر حسن صبري، ط: الأولى، سنة: ١٤١٤هج، دار البشائر الإسلامية – بيروت، (ص: ١٠٩).

١٤٥- "أسامي من روى عنهم محمد بن إسماعيل البخاري من مشايخه في جامعه الصحيح"، أبو أحمد عبد الله بن عدي بن القطان الجرجاني (ت

* وقال إسحاق بن راهويه (ت ٢٣٩ه): (كل حديث لا يعرفه أبو زرعة الرازي ليس له أصل)[١٤٦].

* وقال أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ه): (ما جاوز الجسر [يعني: جسر بغداد] أحفظ من أبي زرعة)[١٤٧].

* وقال محمد بن يحيى الذهلي (ت ٢٥٨ه): (لا يزال المسلمون بخير ما أبقى الله لهم مثل أبي زرعة)[١٤٨].

* وقال يونس بن عبد الأعلى (ت ٢٦٤ه): (أبو زرعة أشهر في الدنيا من الدنيا)[١٤٩].

* وقال أبو حاتم (٢٧٧ه): (حدثني أبو زرعة عبيد الله بن عبدالكريم بن يزيد القرشي, وما خلف بعده مثله: علما وفهما وصيانة وحذقا, وهذا ما لا يُرتاب فيه, ولا أعلم من المشرق والمغرب من كان يفهم مثل هذا الشأن مثله, ولقد كان من هذا الأمر بسبيل)[١٥٠].

* وقال ابن حبان البستي (ت ٣٥٤ه): (كان أحد أئمة الدنيا في الحديث, مع الدين والورع, والمواظبة على الحفظ والمذاكرة وترك الدنيا وما فيه الناس)[١٥١].

٣٦٥ه)، تحقيق: عامر حسن صبري، ط: الأولى، سنة: ١٤١٤هج، دار البشائر الإسلامية – بيروت، (ص: ١٤٨).

١٤٦- "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي (٤١/١٢).

١٤٧- نفسه (٣٦/١٢).

١٤٨- "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٣٢٤/٥).

١٤٩- "تاريخ دمشق" لابن عساكر (٢٨/٣٨).

١٥٠- "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي (٤٢/١٢).

١٥١- "الثقات" لابن حبان (٤٠٧/٨).

* وأختم بما لقيه أبو زرعة من الثناء في العدوة الأندلسية, فيقول ابن عبد البر (ت ٤٦٣ه): (أبو زرعة الرازي [...] كان أحد الأئمة في علم الحديث. وكان أعلم الناس بحديث مالك بن أنس؛ مسنده, ومرسله, ومقطوعه, وأحفظهم له)[١٥٢].

ولا مزيد على وصف هؤلاء الأئمة, وهم من هم علما, وعدلا, وإنصافا, وصدقا, فلم يكن أبو زرعة ليصل هذه الدرجة الرفيعة, والمنزلة العظيمة, لولا ما جبله الله عليه من حسن الشمائل, وكريم الصفات, و﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُوتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة الجمعة, الآية: ٤].

المبحث السادس: مصنفات أبي زرعة الرازي.

قام الدكتور سعدي الهاشمي بحصر مصنفات أبي زرعة وتوثيقها[١٥٣]؛ فعد له ثلاثة وعشرين كتابا, غير أن أغلبها في عداد المفقود, وإن كان العلماء – في السابق – قد تناقلوها فيما بينهم, وتداولوها بالنسخ والرواية, حتى قال الخليلي (ت ٤٤٦ه): (وفي تصانيفه لا يوازيه أحد)[١٥٤], ولم يصلنا منها إلا كتاب: "أسامي الضعفاء", و"أجوبة أبي زرعة عن أسئلة البرذعي", وهما مطبوعان متداولان[١٥٥], لكن عبد الرحمن بن أبي حاتم قدم لنا فائدة علمية لا تقدر بثمن؛ إذ إنه حفظ لنا صورة قريبة جدا من كتب أبي زرعة, بما رواه عنه مباشرة سواء في

١٥٢- "الاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى" لابن عبد البر (٦٤٢/١).

١٥٣- "أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية" لسعدي الهاشمي (١٨٤/١-٢٠٣).

١٥٤- "الإرشاد إلى معرفة علماء الحديث" للخليلي (٦٧٩/٢).

١٥٥- طبعا بتحقيق سعدي الهاشمي ضمن كتاب: "أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية"، وهو في الأصل رسالة أعدها الباحث لنيل الدكتوراه في الحديث وعلومه.

كتاب "العلل"[١٥٦]، أو في كتاب "الجرح والتعديل"، أو في كتاب "بيان خطأ محمد بن إسماعيل البخاري في تاريخه".

المبحث السابع: وفاة أبي زرعة الرازي، وما روي في حسن خاتمته.

بعد حياة ملؤها العلم والتدريس وتصنيف الكتب امتدت لأربعة وستين عاما، اختار الحق سبحانه وتعالى «الإمام سيد الحفاظ»[١٥٧] أبا زرعة الرازي إلى جواره الكريم، ففاضت روحه في منزله في الري يوم الاثنين، ودفن يوم الثلاثاء آخر يوم من ذي الحجة سنة أربع وستين ومائتين (٢٦٤هـ)، وكثر التأسف عليه، وكانت على جنازته هيبة وخشوع[١٥٨].

ومما روي في حسن خاتمته ما ذكره أبو جعفر التُّسْتَرِيُّ (ت ٣١٠هـ)[١٥٩]، قال: (حضرتُ أبا زرعة –يعني الرازي – بمَاشَهْرَان، وكان في السَّوْق، وعنده أبو حاتم، ومحمد بن مسلم، والمنذر بن شاذان، وجماعة من العلماء؛ فذكروا حديث التلقين، وقوله ﷺ: ﴿لقنوا موتاكم لا إله إلا الله﴾[١٦٠]، قال: فاستحيوا من أبي زرعة وهابوا أن يلقنوه، فقالوا: تعالوا نذكر الحديث؛ فقال: محمد بن مسلم: حدثنا الضحاك بن مخلد، عن عبد الحميد بن جعفر، عن صالح، وجعل يقول: ولم يجاوز.

١٥٦- فقد بلغ عدد المسائل في كتاب "العلل" التي سأل عنها عبد الرحمن بن أبي حاتم أبا زرعة ٧٤١ مسألة، منها ٤٥٨ مسألة نقل فيها جواب أبي زرعة وحده، وَ ٢٨٣ مسألة قرن فيها جواب أبي زرعة بجواب أبي حاتم.

١٥٧- "سير أعلام النبلاء" للذهبي (٦٥/١٣).

١٥٨- "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي (٤٦/١٢).

١٥٩- أبو جعفر أحمد بن يحيى بن زهير التستري، الحافظ، المحدث، الزاهد، روى عنه ابن حبان، والطبراني، وأبو أحمد بن عدي، وأبو الشيخ بن حيان، وغيرهم. قال فيه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الأصبهاني البارع: (ما رأيت في الدنيا أحفظ من أبي جعفر بن زهير التستري)، وقال الذهبي: (يضرب به المثل في الحفظ). تنظر ترجمته في: "سير أعلام النبلاء" للذهبي (٣٦٢/١٤).

١٦٠- رواه مسلم في "المسند الصحيح"، كتاب الجنائز، من حديث أبي هريرة ﷺ، (رقم: ٩٢٣).

وقال أبو حاتم: حدثنا بندار, قال: حدثنا أبو عاصم, عن عبد الحميد بن جعفر, عن صالح ولم يجاوز والباقون سكتوا؛ فقال أبو زرعة: وهو في السَّوْق: حدثنا بندار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عبد الحميد ابن جعفر, عن صالح بن أبي عَرِيب, عن كَثِير بن مرة الحضرمي, عن معاذ بن جبل, قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿من كان آخر كلامه من الدنيا: لا إله إلا الله دخل الجنة﴾, وتوفي)[١٦١]. «فصار البيت ضجة ببكاء من حضر»[١٦٢].

وقال أبو العباس أحمد بن محمد المرادي (ت ٥٣٥٠): (رأيت أبا زرعة في المنام فقلتُ: يا أبا زرعة, ما فعل الله بك؟ قال: لقيت ربي تعالى فقال لي: يا أبا زرعة, إني أوتى بالطفل فآمر به إلى الجنة, فكيف من حفظ السنن على عبادي, تبوأ من الجنة حيث شئت)[١٦٣].

وكل ذلك وجه مسفر لمجالي النضرة النبوية التي ضمِنَتْ لحملة الحديث النبوي إسفارَ الوجه حال حياتهم, وجميل الذكر بعد مماتهم, ونضْرَةَ النعيم عند لقاء ربهم, فرحم الله أبا زرعة, ونور ضريحه, ورضي عنه, وأسكنه فسيح جناته.

الخاتمة

تكشف إعادة قراءة ترجمة الحافظة أبي زرعة الرازي (ت٢٦٤هـ) في ضوء سياق القرن الثالث الهجري أنّ تشكّل العالم المحدّث لم يكن مسارا فرديا معزولا, بل عملية مركّبة تشابكت فيها عناصر البيئة العلمية المحلية, والرحلة العلمية,

١٦١- القصة رواها البيهقي في "الجامع لشعب الإيمان" (رقم: ٨٨٠٠)، والخطيب البغدادي في "تاريخ بغداد" (٤٥/١٢).
١٦٢- "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم (٣٤٦/٥).
١٦٣- "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي (٤٧/١٢).

وشبكات التلقي والتداول المعرفي. فقد أظهرت الدراسة أنّ مدينة الري لم تكن مجرد فضاء جغرافي لولادة أبي زرعة ونشأته, بل مثّلت بنية علمية حاضنة أسهمت في توجيه اهتماماته المبكرة نحو علم الحديث, ضمن تقاليد علمية راسخة.

كما بيّنت أنّ الرحلة في طلب العلم لم تكن مجرّد انتقال مكاني, بل آلية مركزية لإعادة تشكيل الرصيد المعرفي, من خلال الاحتكاك بمراكز العلم الكبرى, وتعدد الشيوخ, وتنوع الأسانيد, وهو ما أتاح لأبي زرعة توسيع أفقه العلمي, وتطوير قدراته في الحفظ والنقد والتمييز. وفي هذا السياق, برزت شبكات الشيوخ والتلاميذ بوصفها بنى حاسمة في نقل المعرفة وترسيخ السلطة العلمية, حيث أسهمت في إدماج أبي زرعة ضمن طبقة كبار الحفاظ, ومنحته مشروعية علمية معترفا بها في مختلف الأمصار.

وتخلص الدراسة إلى أنّ تجربة أبي زرعة تمثل نموذجا دالا على تشكّل الإمامة الحديثية في القرن الثالث الهجري, حيث تداخلت عناصر البيئة والرحلة والتواصل العلمي في إنتاج شخصية علمية مرجعية, ومن ثم فإن قراءة التراجم في ضوء سياقاتها تفتح أفقا منهجيا واعدا لفهم تاريخ العلوم الإسلامية, بوصفه تاريخا للبنى والشروط, لا مجرد سرد لسير الأعلام.

التوصيات:

- توسيع الدراسات السياقية في تراجم المحدثين, بما يتجاوز الوصف إلى تحليل شروط التشكّل العلمي.

- إعادة قراءة مدارس الحديث بوصفها سلاسل معرفية فاعلة لا مجرد تجمعات جغرافية.
- الإفادة من مقاربة التشكّل العلمي في دراسة أعلام القرون الأولى.
- تشجيع الدراسات المقارنة بين تجارب المحدثين في مختلف الأمصار.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

١- أبو أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد بن مبارك بن القطان الجرجاني (ت ٣٦٥هـج)، تحقيق: عامر حسن صبري، "أسامي من روى عنهم محمد بن إسماعيل البخاري من مشايخه في جامعه الصحيح"، ط: الأولى، سنة: ١٤١٤هـج، دار البشائر الإسلامية – بيروت.

٢- أبو الحجاج يوسف المزي (ت ٧٤٦هـج)، تحقيق: بشار عواد معروف،"تهذيب الكمال في أسماء الرجال"، ط: الثانية، سنة: ٢٠١٠م، مؤسسة الرسالة ناشرون – دمشق – بيروت.

٣- أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـج)، تحقيق: اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق، "أدب الدنيا والدين"، ط: الأولى، سنة: ٢٠١٣م، دار المنهاج – بيروت.

٤- أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨هـج)، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (ت ١٣٩٢هـج)، "مجموع الفتاوى"، أشرف على الطباعة المكتب التعليمي السعودي المغربي، مكتبة المعارف – الرباط.

٥- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان (ت ٦٨١هـج)، تحقيق: إحسان عباس، "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، سنة: ١٩٩٤م، دار صادر – بيروت.

٦- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـج)، تحقيق: عبد الله ابن عبد المحسن التركي، "البداية والنهاية"، ط: الأولى، سنة: ١٩٩٧م، دار هجر للطباعة والنشر – الرياض.

٧- أبو الفرج عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي المعروف بابن العماد (ت ١٠٨٩هـج)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، "شذرات الذهب في أخبار من ذهب"، ط: الأولى، سنة: ١٩٨٦، دار ابن كثير – دمشق – بيروت.
٨- أبو الفرج محمد بن إسحاق ابن النديم (ت ٣٨٠هـج)، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، "الفهرست"، سنة: ٢٠٠٩م، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي – لندن.
٩- أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـج)، تحقيق: إبراهيم الزيبق وَعادل مرشد،"تهذيب التهذيب"، ط: الأولى، سنة: ٢٠٠٨م، مؤسسة الرسالة – بيروت.
١٠- أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـج)، تحقيق: صلاح الدين عبد الموجود،"تقريب التهذيب"، ط: الأولى، سنة: ٢٠٠٤م، دار ابن رجب – المنصورة.
١١- أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـج)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، "تاريخ دمشق"، سنة: ١٩٩٥م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت.
١٢- أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلي (ت ٣٦٧هـج)، "صورة الأرض"، دار صادر – بيروت.
١٣- أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني البيهقي (ت ٤٥٨هـج)، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، "الجامع لشعب الإيمان"، ط: الأولى، سنة: ٢٠٠٣م، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع – الرياض.
١٤- أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي (ت ٣٧٩هـج)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، "طبقات النحويين واللغويين"، ط: الثانية، دار المعارف – القاهرة.
١٥- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـج)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، "تاريخ الرسل والملوك"، ط: الثانية، سنة: ١٩٦٧م، دار المعارف – مصر.
١٦- أبو حاتم محمد بن حبان البُستي (ت ٣٥٤هـج)، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، "مشاهير علماء الأنصار"، ط: الأولى، سنة: ١٩٨٧م، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت.

١٧- أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان البُستي (ت ٣٥٤هـج)،"الثقات"، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة الهندية، بمراقبة: محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، ط: الأولى، سنة: ١٩٧٣م، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن – الهند.
١٨- أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني (ت ٥٦٢هـج)، تحقيق: أحمد محمد عبد الرحمن، "أداب الإملاء والاستملاء"، ط: الأولى، سنة: ١٩٩٣م، مطبعة المحمودية – جده.
١٩- أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني (ت ٥٦٢هـج)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، "الأنساب"، ط: الثانية، سنة: ١٩٨٠م، مكتبة ابن تيمية – القاهرة.
٢٠- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه (ت ٣٦٥هـج)، تحقيق: يوسف الهادي: "البلدان"، ط: الأولى، عالم الكتب – بيروت.
٢١- أبو عبد الله شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هج)، "العبر في خبر من غبر"، التراث العربي – سلسلة تصدرها دائرة المطبوعات والنشر في الكويت.
٢٢- أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـج)،"تذكرة الحفاظ"، ط: الأولى، سنة: ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية – بيروت.
٢٣- أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـج)، تحقيق: بشار عواد معروف،"تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام"، ط: الأولى، سنة: ٢٠٠٣م، دار الغرب الإسلامي – بيروت.
٢٤- أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، ط: الثالثة، سنة: ١٩٩١م، مكتبة مدبولي – القاهرة.
٢٥- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي (ت ٧٤٤هـج)، تحقيق: أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق،"طبقات علماء الحديث"، ط: الثانية، سنة: ١٩٩٦م، مؤسسة الرسالة – بيروت.
٢٦- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـج)، أشرف على التحقيق: شعيب الأرنؤوط،"سير أعلام النبلاء"، ط: الثالثة، سنة: ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٢٧- أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـج)، "آداب الشافعي ومناقبه"، ط: الأولى، سنة: ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية – بيروت.
٢٨- أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـج)،"الجرح والتعديل"، ط: الأولى، سنة: ١٩٥٢م، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – بحيدر آباد الدكن – الهند، قامت بتصويرها: دار الأمم للطباعة والنشر – بيروت.
٢٩- أبو يعلى الخليل بن عبد الله الخليلي (ت ٤٤٦هـج)، تحقيق: محمد سعيد عمر إدريس، "الإرشاد في معرفة علماء الحديث"، ط: الأولى، سنة: ١٩٨٩م، مكتبة الرشد – الرياض.
٣٠- أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت بعد ٢٩٢هـج)، "البلدان"، ط: الأولى، سنة: ١٤٢٢هـج، دار الكتب العلمية – بيروت.
٣١- برهان الدين إبراهيم بن علي بن فرحون اليعمري (ت ٧٩٩هـج)، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور،"الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب"، دار التراث – القاهرة.
٣٢- تحقيق: أبي عمر محمد بن علي الأزهري، "سؤالات البَرذعي لأبي زرعة الرازي"، ط: الأولى، سنة: ١٤٣٠هـج، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر – القاهرة.
٣٣- ثامر عبد المهدي حتاملة، "مدرسة الحديث في مدينة الري"، ط: الأولى، سنة: ٢٠١٦م، دار الكتاب الثقافي – الأردن.
٣٤- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ه)، "طبقات الحفاظ"، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، سنة: ١٩٨٣م.
٣٥- حسن كريم الجاف، "موسوعة تاريخ إيران السياسي"، ط: الأولى، سنة: ٢٠٠٨م، الدار العربية للموسوعات – بيروت.
٣٦- خير الله سعد، "موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة العربية والإسلامية"، ط: الأولى، سنة: ٢٠١١م، الانتشار العربي – بيروت.
٣٧- زكريا بن محمد القزويني (ت ٦٨٢هـج)، "آثار البلاد وأخبار العباد"، دار صادر – بيروت.

٣٨- سعدي بن مهدي الهاشمي، "أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية"، ط: الثانية، سنة: ١٩٨٩م، دار الوفاء للطباعة والنشر – المنصورة، ومكتبة ابن القيم – المدينة المنورة.
٣٩- شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـج)، تحقيق: سالم بن غتر بن سالم الظفيري، "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التوريخ"، ط: الأولى، سنة: ٢٠١٧م، دار الصميعي للنشر والتوزيع – الرياض.
٤٠- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـج)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، "الوافي بالوفيات"، ط: الأولى، سنة: ٢٠٠٠م، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٤١- عبد الفتاح السرنجاوي، "النزعات الاستقلالية في الخلافة العباسية"، سنة: ١٩٤٥م، دار الكتب الأهلية – القاهرة.
٤٢- عز الدين أبو الحسن علي ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـج)، "الكامل في التاريخ"، ط: السادسة، سنة: ١٩٩٥م، دار صادر – بيروت.
٤٣- عصام عبد الرؤوف الفقي،"الدول الإسلامية المستقلة في الشرق"، سنة: ١٩٨٧م، دار الفكر العربي – القاهرة.
٤٤- عطية القوصي، "تاريخ الدول المستقلة في المشرق عن الخلافة العباسية"، سنة: ١٩٩٢-١٩٩٣م، مكتبة دار النهضة العربية – القاهرة.
٤٥- علي بن عبد الله الصَّيَّاح، "جهود المحدثين في بيان علل الأحاديث"، ط: الأولى، سنة: ١٤٢٥هـج، دار المحدث للنشر والتوزيع – الرياض.
٤٦- عمر فرّوخ، "تاريخ الأدب العربي"، ط: الرابعة، سنة: ١٩٨١م، دار العلم للملايين – بيروت.
٤٧- كي لسترنج (ت ١٩٣٤م)، تعريب: بشير فرنسيس وَكوكيس عواد، "بلدان الخلافة الشرقية"، ط: الأولى، سنة: ١٩٥٤م، مطبعة الرابطة – العراق.
٤٨- محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله، المعروف بابن النجار البغدادي (ت ٦٤٣هـج)، مطبوع بذيل: تاريخ بغداد (ج ١٦-٢٠)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، "ذيل تاريخ بغداد"، ط: الثانية، سنة: ٢٠٠٤م، دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٩- محمد المختار ولد أباه، "تاريخ علوم الحديث في المشرق والمغرب"، ط: الثانية، سنة: ٢٠١٢م، دار الكتب العلمية – بيروت.
٥٠- محمد خروبات، "أبو حاتم الرازي وجهوده في خدمة السنة النبوية"، ط: الأولى، سنة: ٢٠٠٤م، المطبعة والوراقة الوطنية – مراكش.
٥١- محمد سهيل طقوش، "تاريخ الدولة العباسية ١٣٢-٦٥٦هـج"، ط: السابعة، سنة: ٢٠٠٧م، دار النفائس – بيروت.
٥٢- يحيى شامي، "موسوعة المدن العربية والإسلامية"، ط: الأولى، سنة: ١٩٩٣م، دار الفكر العربي – بيروت

..... ***** .....